قصص



خيوط على دوائر

أحمد غريب
أحمد فاروق
علاء البربرى
نادين شمس
وائل رجب
هيثم الوردانى







شرقيات



خيوط على دوائر

الطبعة الأولى ، ١٩٩٥

٥ شارع محمد صدقى ، من شارع هدى شعراوى
باب اللوق ، القاهرة
س : ت ٢٦٩١٩٨ ت ٣٩٠٢٩١٣

تصميم الغلاف محيى الدين اللباد



خيوط على دوائر

أحمد غريب • أحمد فاروق • علاء البربرى
وائل رجب • نادين شمس • هيثم الوردانى

دار شرقيات للنشر والتوزيع

أحمد غريب

حَفْر

(١)

عندما تحرك العصفور تهاوى الجذع المائل، وسمعت صوت ارتطامه وخشخشة الفروع القليلة التي تكسرت داخل الحفرة، كان الصوت مماثلاً لتآكل الخشب عندما يلقى في النار، وقد ظلت السحب القليلة المتبقية تلقي بالمطر بينما تنحرف به الريح ليسقط على ظهري وقفاي.

كان الجو بارداً وفي اللحظة التي تحركتْ فيها عيناي لتتابعا حركة العصفور –عاد إلى جفنيّ الإحساس بالتحجر والحرقان. كلما اقتربت مقلة العين من حافة الجفن شعرت باللسع، ولم يكن أمامي حل لمواجهة الهواء الداخل إلا الإغلاق. توقعت الإحساس الحارق الذي سيشيع السخونة في المحجرين، اللذين تجمدا، توقعت الذوبان أيضا ولم أجد استعداداً لتلقي الدموع. ظللت أنظر محتفظاً بآخر اتساع للفتحتين، وعندما التفّت دوامة الريح لتلطم وجهي بالمطر أغمضت دون أن أدري، وبحركة لم أدركها إلا وهي تحدث اندفع ذراعي الأيمن لأسفل، دافعاً يدي داخل جيب الجاكت، بينما لحق به ذراعي الأيسر إلى الجيب الآخر، وأدركه عندما بدأ الجيب الأيمن يتمزق، وصل صوت التمزق إلى داخل أذني مع حبات صغيرة من

المطر انزلقت هي الأخرى، ربما لأنني ملت قليلاً بجذعي إلى الأمام، تحركت خطوة حتى أستقيم.

(٢)

كان الرمل ممتزجاً بالتراب –يمتد أمامي نحو نهاية الأفق –تتخلله بعض حشائش متفرقة، تبدو محنطة وسط هذا الفراغ، الإضاءة رمادية لاتحدد إن كان الوقت شروقاً أو غروبا، ثمة تراب عالق في الهواء، يزيد من صعوبة الرؤية، ركزت بصري في السماء الرمادية، الممتلئة بسحاب كثيف متزايد، مرت لحظات وأنا أنظر فوقي إلى الكتلة الرمادية الغامقة، وكنت أسمع صوت الريح ينفخ في الرمل ويطيّره، هبطت ببصري وفي داخلي إحساس بأني رأيت هذا المكان من قبل بنفس الطريقة، مثل غلطة المونتاج السينمائي تكررت اللقطة وربما كنت بحاجة للنوم، تنبهت إلى العامل الذي يحفر، والتفت إلى الرجل الذي يوجهه متحدثاً لي أيضاً، ورغم صوت الريح كانت أذني تستمع إليه وإلى صوت تنفسي المنتظم، درت ببطء حول نفسي مولياً للرجل جانبي دون أن أفقده اهتمامه بالكلام، نظرت إلى البيوت البعيدة من خلفي، كانت السماء الرمادية تمتد منحنية لتغطي خلفيتها وجزء من الأسطح ولم يظهر منها إلا حوائط، ازداد تنفسي بطئاً وانتظاما– كان لصوت الرجل رنينا في هذا الفراغ– وبدأت أسمع دقات منتظمة مع صوت التنفس اندهشت عندما تخيلت أنها– ربما– دقات قلبي، شعرت بهزة خفيفة مع كل نقلة يأخذها عقرب الثواني الدائر فوق معصمي. أكملت الدورة عائداً إلى مواجهة الرجل، الذي تباطأت كلماته قبل أن يلقي جملته الختامية: لذلك أهم خطوة هي الحفر ثم سقف الحفرة بعد ذلك. بدأ وجهه يبتسم ناظراً إلى رد الفعل على وجهي، وقبل أن يبدأ في انتظاره لي حتى أتكلم هبط المطر غزيراً، فجرى.

في حين ترك العامل الذي يبدو لي وراءه بأمتار عديدة- ترك آلة الحفر وجرى بسرعة حتى وصل إلى كوخ خشبي صغير، متهالك، وعندما هم بإغلاق الباب وراءه وصل الرجل، واستغرق لحظات ينظر إليّ قبل أن يدخل، بينما اطلّت رأس العامل مبتسماً، في هذه اللحظة شعرت بحبات من الماء تنزل بين ياقة الجاكت ورقبتي منزلقة إلى ظهري، وكانت باردة، فعدلت بيدي الياقة لتلتصق أكثر بالرقبة، التي أخذت تنكمش.

(٣)

السيارة التي نركبها مكيفة، أدار الرجل جهاز التكييف عندما بدأنا نتجاوز حدود المدينة، كان يقود بتمكن وصمت من يعرف الطريق، في البداية أيّد رؤيتي كل شيء على الطبيعة، وعندما أدار المكيف استحسن ارتدائي ملابس ثقيلة، فالجو بارد ويبدو أنها ستمطر، وكانت البرودة قد بدأت تسري داخل السيارة عندما تجاوزنا البيوت، وبدأ الطريق يزداد وعورة، فارتجت السيارة. كان العامل الجالس خلفنا في المقطورة قابضاً على آلته بيديه الاثنتين، وعندما ارتجّت السيارة اهتز أمامي في المرآة الجانبية. وكان الرجل يدير عجلة القيادة منحرفاً إلى اتجاهات بعيدة عن الطريق لتفادي الحجارة والسيارة تتأرجح. ولم تكن المرآة تسكن حتى تتلقى هزة اخرى. ظللت احرك رأسي متابعاً اهتزاز المرآة التي يعتليها التراب، واهتزاز العجلة في يديه، لاحظت حبات العرق التي ظهرت في أعلى جبهته، وكان منفعلاً، قال إننا سنواجه طقساً سيئاً والمكيف الدافيء سيسبب نزلة برد، أوقفه، أشار بيده إلى شجرة يابسة وقال إننا اقتربنا هاهي، ملت بجذعي للأمام وأنا فاغ عينيّ على اتساعهما، كان الزجاج قد اكتسى بطبقة من التراب، وهدأ محرك السيارة ولمحت الكوخ الخشبي الذي يبعد عن الشجرة عدة أمتار، وفي المنتصف بينهما حدد الرجل

مكان الحفر، فانطلق العامل وآلته، بينما اخترقني البرد المفاجىء بعد التكييف، حتى تخيلت أنني أقف عارياً، كنت أقف على رأس المثلث بين الجذع اليابس والكوخ، والتفت لي الرجل وعينه تلمع من وراء التراب وقال إنهم قريبون هنا مائه متر فقط، وإنني أول من يستفيد بقرار التوسع، التفت ورائي إلى البيوت الأخيرة، المسافة تزيد عن كيلومتر، رغم التراب الحائل بيني وبين الرؤية، ومن الجهة التي أشار إليها —تبينت في منتصف المائة متر طائراً صغيراً قادماً، كانت الريح تعوقه، وارتجفت من الريح عندما صفقت باب الكوخ، وكان الرجل يتكلم...

نوفمبر ١٩٩٤



العنوان متروك للقارئ(...)

«لاتتميز الإحساسات اللذيذة بأية كيفية نزوعية فطرية، بينما توجد هذه الكيفية في الاحساسات المؤلمة بدرجة كبيرة. فالإحساسات المؤلمة تنزع نحو التغيير» . وضع كتاب فرويد على السرير، كانت مطفأة السجائر ممتلئة، أشعل سيجارة من عقب الأخيرة، باب الحجرة مغلق. ثني رجليه الممدوتين فاقتربت ركبتاه من ذقنه، قال له الدكتور لاترتدي الجينز لأنه يعتصر الخصية وهذا ما يؤلمك. الدخان يملأ الحجرة، يتصاعد تحت ضوء الأباجورة فيبدو كثيفاً ويتفرق عند اصطدامه باللمبة، شبر واحد يصعده ويصطدم باللمبة. نظر إلى الكتاب ثانية ثم خرج مسرعاً، شرب كوب ماء، ثم ملأه وشربه، ثم ملأه وشربه مرة واحدة، تنفس... عاد إلى حجرته ونظر إلى الهاتف الصامت. ذهب إلى الحمّام حزق بعنف، أحس بألم في فتحة شرجه، ألقى السيجارة وشدّ مقبض السيفون، عاد إلى حجرته، بنات كثيرات ينظرن إليه بشبق، عاريات، لا شبه عاريات، صور. قالت وهي تبكي «اوعى تحسسني اني بيتش» —لم تقل شر موطة— نظر إلى الجيتار وأنصت إلى صرخات الجيتار الكهربائي التي تأتيه من الكاسيت، اسم الأغنية «الحالم مكانه تحت» . في النهاية قالت مودعة «أنا حاسه إني كنت في حلم جميل وصحيت» كم يعشق الأضواء الصفراء في شارع رمسيس، الليل، البرد، الانكماش في

الملابس الثقيلة، الإنحناء في مواجهة لسعة البرد، الريح، نحن لانعرف البرد هنا، يجيء بسرعة ويذهب، سيمون– بطلة الفيلم الأخير الذي شاهده– ماتت من البرد، كانت ترتدي الجينز، تدخن الحشيش، تنام مع من ترغب، تركت باريس وعاشت في الطرق السريعة، اوتوستوب، ماتت من البرد. قالت له «لو نمشي في شارع رمسيس في الليل والبرد ونكون راجعين لبيتك، تحت الأضواء الصفراء، بجوارنا السيارات مسرعة، ذراعك حولي ورأسي على كتفك، أختبيء في ملابسك» سكتت، أوقفته قبل أن يضمها «إوعى تحسسنى إني بيتش». ذهب إلى المطبخ وأحضر شمعة، أشعلها وأطفأ الأباجورة، أشعل منها سيجارة، أحمر الشفاه المطبوع على فم السيجارة جذاب، الجو حار، شقة صديقه في الطابق الأخير، الساعة الثالثة بعد الظهر، يوليو، قالت والدموع في عينيها «اترك لي حاجة أعيش بيها مع الناس برّه، صاحبتي لمّا باسها خطيبها خكت لنا الحكاية شهر، أنا اديتك كل حاجة، مش حقدر، لازم يفضل بره، أنا كمان مضايقة.. صدقني» قال «أنا أكلت حزمتين جرجير وعلبة حلاوة طحنية وماما عصرت لي كيلو جوافة». فتح كتاب فرويد (فالاحساسات المؤلمة تنزع نحو التغيير ونحو التفريغ، وهذا سبب تفسيرنا للألم على أنه يتضمن ازدياد الشحنة النفسية ونفسر اللذة على أنها تتضمن خفضها). نظر إلى الشمعة، شقة صديقه في الطابق الأخير، يتصبب عرقاً، وهي خجلى، أغلق الحجرة والشباك وكل شيء، الشمعة تتراقص، كانت لاتزال واقفة، اقترب، وضع يديه حول خصرها، ضمها بقوة وذابت، لم يصدق أن هذا الجزء الممتع ينزل منه البول، قال لها كلاماً كثيراً بهذه الجلدة، قالت «مقدرش، سيب لي حاجة أعيش بيها مع الناس اللي برّة إذا كنت عايز مافيش غير ده– أشارت إلى ظهرها والدموع في عينيها– أنا بحبك» وكان في جوفه كلام كثير لم يتمه.

أحس بالبرد، الدخان يملؤ الحجرة، لكنه أحس بالبرد، الباب مغلق،

نظر إلى الهاتف الصامت والدخان المصطدم بالأباجورة، سيمون ترتدي الجينز، تدخن الحشيش وتنام مع من ترغب، الشمعة، ماتت من البرد، كم يعشق الأضواء الصفراء، صور، شارع رمسيس، الانحناء في مواجهة الريح، ذراعك حولي، رأى سائله متمزجاً بالخراء.

نوفمبر ١٩٩٣



استرجاع أخير قبل النوم

في هذه اللحظة وأنا أسحب الغطاء لأنام أدركت أن ملايين من الناس في هذا الوقت يضعون رؤوسهم على الوسادة ليناموا، كثير منهم تعشوا، وكثير مارسوا الحب برغبة أو بدونها، وفي نفس الوقت أيضاً استيقظ قوم آخرون، بعضهم غسل وجهه، والبعض الآخر شرب سائلاً ما.. قهوة.. شاياً، أي شيء ومضى، تذكرت كروية الأرض، ودرس الجغرافيا في الصف الأول الإعدادي، عندما شاهدنا كرة من البلاستك رسم عليها خرائط للقارات والمحيطات، المياة باللون الأزرق الفاتح والأرض باللون الأصفر، يتدرج حسب نوع الأرض حتى البني الغامق، الذي يمثل الجبال، أما الأجزاء الخضراء القليلة فهي الغابات. كانت كرة واحدة أخذ المدرس المرح يديرها فتلف حول الحامل المعدني نصف الدائري، لم يضئ المصباح الداخلي لها لأن تلاميذ العام السابق اتلفوه، ولم تصل عيني إلى هذه الألوان البعيدة حيث كنت أجلس في آخر الفصل، وكان يجلس في فترة الفسحة في حوش المدرسة يشاهد مباريات الدوري التي تجري بين طلبة الفصول. كان موعد الفسحة بعد نهاية الحصة، وقد بدأت أفتح أزرار قميصي الأزرق الفاتح وظهر لون الفانلة الأخضر التي اخترناها زياً لفريقنا، كنا خمسة، تفرقنا بعد المرحلة الإعدادية ولم يبق الا أنا وهو، كان في زيارتي قبل أن أبدأ في النوم، لم يتغير

شكله باستثناء الشارب الكثيف الذي نبت تدريجياً في وجهه، وهو الذي أحرز الهدف الوحيد لفريقنا من تمريرة خادعة أرسلتها له، وصفق لنا المدرس بمرح بعد المباراة، وكنا نشعر بالخجل لأننا هزمنا بستة أهداف لهدف وحيد.
أحسست أن النوم يطير وأنني بحاجة إلى الذهاب إلى المطبخ لأجلس على أرضه ذات البلاط البارد، أشعل البوتاجاز بعد إطفاء النور في كل البيت، أنظر ببلاهة إلى اللهب الأزرق الصاعد من فتحات دقيقة. لم أرغب في فتح الغاز كثيراً، بل أردت اللهب الهادئ ليبدو اللون الأحمر الفاتح في أعلى ألسنة اللهب الزرقاء المستوية خفيفاً، غير مستفز. كانت الساعة قد تجاوزت الثانية بعد منتصف الليل، الجيران نائمون أو على الأقل بعيدون عن المطابخ، صرفت عن خاطرى ضرورة الاستيقاظ المبكر غداً للبحث عن عمل إضافي، ربما لو وجدته يصبح اليوم ثقيلاً ومن الصعب أن أجد مثل هذه اللحظات.
منذ زمن بعيد ربما أكثر من عشر سنوات لم أجلس هذه الجلسة المفضلة، منذ وفاة أبي تقريباً، بصراحة.. منذ توقف عن ضربي قبل أن يموت، كنت أجلس أمام البوتاجاز ذي العين المفتوحة فتسقط دموعي النادرة ؛ بمجرد النظر إلى اللهب الأزرق وطرفه الأحمر الفاتح، نادراً ما سقطت أمامه، لماذا لم نرتد أحد هذين اللونين مادمت أحبها؟ ربما أحرزنا أهدافاً أخرى، ربما أحرزت هدفاً أنا أيضا، ليته لم يضربني عندما طلبت منه أن أكون لاعب كرة، كانت تمريرتي رائعة أراها داخل دائرة اللهب الأزرق المضيئة، تمر قطرية داخل المساحة الأكثر عتمة في عين اللهب حتى تصل إلى طرفه المشتعل، أرتعش على البلاط البارد وتسقط دمعتي ساخنة، رائعة، والله كانت تمريرتي رائعة.

عندما أحسست بحركة أمي داخل البيت أغلقت البوتاجاز وذهبت إلى الفراش وسحبت الغطاء على وجهي.

مارس ١٩٩٤

(   )

لم يزل هناك شيء نقوله.

نَظَرَتْ إلى الناحية التي يأتي منها الهواء الذي حرك شعرها وبعثره التفتت ثانية ولم تركز بصرها في وجهي. اوقفت حركة يدها قبل ان تضع إصبعها في فمها، ابتسامة طفلة كبيرة تشكّلت في وجهها ولم تكتمل، اتبعتها بحركة من جذعها نحوي.

كنّا جالسين ولم تكن أيدينا موضوعة على الطاولة التي بيننا.

قالت:.........................

كان اللون الأحمر الباهت لبلوزتها جميل ولم أجد مبرراً لأشبهها بالوردة. وكانت تنظر للسيجارة المعلّقة في الهواء بين أصابعي بضيق، بينما ضايقني صوت الموسيقى العالي والمطرب الذي يغني بلغة لا أفهمها.
استرسلتْ في الحديث... وربما أشارت إلى ضرورة مواجهة تلك الحالة التي نحن فيها وألا نستسلم...، كل ما أذكره أنه صياغة جديدة لكلامي بالأمس في التليفون قبل أن نحدد الموعد. مدّت يدها وتناولت نظارتي ووضعتها أمام عينيها بدلاً من نظارتها التي ظلّت في يدها ولم تضعها على الطاولة، مع أني

فعلت ذلك من قبل وتركت نظارتي. قالت إنها جميلة وإن نظري... عندما فعلت ذلك قلت إن نظرها ضعيف. أشعلت سيجارة رغم علمي بانها قد تتضايق.

ولاحظتُ أنه لم يبق إلا سيجارتان معي.

فتحتْ حقيبتها المبالغ في حجمها وأخذت تقلب الأوراق بحركة عادية، دون اهتمام زائد، ثم ابتسمت ولم تفتح فمها الدقيق وظلت تقرأ... لم أخبرها أن فمها ليس مثيراً لي ولا يدعو إلى التقبيل في حد ذاته وإن كنت أراه جميلاً هكذا... أخذت تعبث بشعرها وكان الهواء قد سكن، بينما استغرقت أنا في تدوين ما تقرأونه —ناظراً اليها— ومرّ الجرسون فظن أني أرسمها، ولم أكن أجيد الرسم أبدا ولو مرة. لاحظت أنها تضحك عندما مدّ الجرسون عينيه بنظرة رأسية على الورقة ليرى ما أرسم، ثم استغرقت في قراءتها وهرشت بسرعة في رقبتها، ثم وضعت يدها على جبهتها منكفئة تماماً على ماتقرأ.... وضعت يدها اليسرى ورأيت الخاتم الفضي الذي يشبه مثيله في يدي اليسرى مع اختلاف قليل في النقش. انتبهت إلى أننا نضعه في اليد اليسرى دون أن نتفق.

عندما رفعتْ ركبتها لتسندها على الطاولة واستندَتْ بذقنها على يدها اليمنى كان وجهها مضيئاً وأردت أن أقبلها.

ناديتها فانتبهت بعينيها فقط، فأدركت أنها لاتريد أن أوقف قراءتها الآن. تلفتُّ حولي إلى المكان ولم أجد شيئاً أود تسجيله. مكان عادي به بعض الخضرة وهواء يأتي ليبعثر شعرها، وشمس تسقط في حزم من بين فراغات السقف المكون من خيم صغيرة على شكل قباب،... عندما يسقط شعاع من الشمس على وجهي تخبرني أن عيني جميلة.

اكتوبر ١٩٩٤

هو وعمه

هل تذكر عزيزي القارئ آخر نكته سمعتها من قلبك؟ صاحبنا لايذكرها لأن هذه النكته لم يسمعها بعد، وقد صرح لي في جلسة للمصارحة أن كل ضحكه لم يكن من قلبه، لكنه يذكر المرة الوحيدة التي بكى فيها من قلبه (وهو المعروف بأبودمعة) عندما نظر إلى المرآة المتسخة التي تزين حجرته ورأى شحوب وجهه الذي لازمه عشرين عاماً، وكاد يضحك عندما تذكر معاندته في الاعتراف بهذا الشحوب، لكن رنات التليفون منعته من الضحك، ظن أنها هي، التي يحلمُ منذ زمن أن تتصل به رغم أنه لم يعطها رقم تليفونه، ويعلم تمام العلم أنها لا تعرف شخصاً معه هذا الرقم الذي تتكرر أرقامه بجوار بعضها، مع أني لا أحفظه، وعندما رفع السماعة رد عليه شخص آخر غيرها لكن صوته شبيه بها، هو الذي تخيل ذلك، وفي جزء من اللحظة ظن أنه سيتخيلها وسيحدثها هي أيا كان محدثه، لكنه لم يفعل بل رد بلياقة وأدب أنه غير موجود. وضع السماعة وأطفأ السيجارة التي أشعلها ولم يشر بها، وفكر في الموقف الوحيد الذي اعتقد لفترة طويلة أنه ضحك فيه من قلبه، موقف الميكروباص الذي ازدحم بالجنود بشدة، كان هو نفسه جالساً في ميكروباص يجاوره في الإشارة المزدحمة، والجنود عددهم يفوق ضعف طاقة الميكروباص، الذي كتب عليه بصدق «أبو سريع ترافل»

لكنه في هذه اللحظة بالتحديد علم لماذا ضحك، لأنه أراد أن يتحدى بضحكه الجالسين معه، المصرين على عدم الضحك كأنهم اتفقوا على ذلك.

أخذ يأكل بشراهة، لقد أكتشف شيئاً مهماً في حياته لكنه لم يستطع التعبير عنه، تمنى أن يأتيه الكابوس الذي رافقه طوال حياته، السقوط من فوق الهرم، أخذ يأكل بشراهه ويأكل.

عندما سألها عن آخر حلم حلمت به، ذكرت أنه فيه، وكان يعلم أنه فيه لكنه أراد أن يتأكد وقد فعل، بعد ذلك لم يفعل شيئاً سوى العودة إلى منزله ماشياً..... هل مازلت لاتذكر آخر نكته ضحكت عليها من قلبك؟

كان الوقت متأخراً وهو يريد أن يروي كل شيء بينما ترتعش قدماي من البرد، لكنه أدفأ الجو عندما بدأ يحدثني عن رغبته في العيش على جزيرة تمتلئ بالنساء، يمشين على أربع وهو يقفز فوقهن ويطعن كل واحدة بعضوه، لكنه يريدهن بمايوهات بكيني، والحقيقة أنه لم يمانع من وجودي معه في الجزيرة، أشعل سيجارة بالمقلوب وشربها، أو لم يشربها، لا أذكر، لكن رائحة الاسفنج المحترق كانت تخرج من فمه مع رغبته في أن يكون ثلثهن في السابعة عشرة، وثلث فوق الثلاثين، أو الأربعين..... لاينكر حكاية أوديب ولا أذكر عمره.

في أحدى المرات شاهدنا فليما معا في سينما ديانا، وأخبرني أنه شاهده من قبل وأراد أن يتأكد أن شخصية البطل تشبهه، وعندما سألته بعد انتهاء الفيلم قال إنه في حيرة هل شخصية المخرج هي نفس شخصية البطل، أعدت عليه السؤال فأضحكتني حركات وجهه وتشويحة يديه «أنا عارف» وطلب مني أن أوصله، وفعلت، فروى لي إعجابه ببنت يرى فيها حلمه وبالفعل عندما ذكر صفاتها وتفكيرها كانت حلمه، حسبما اعتقد ويعتقد

هو، وقد أحضر لها هديه لكنه لم يعطها أي شيء بل طلب منها أن تحكي له عن عائلتها وذكر أن طريقتها في الحكي شيقه، وانه استمتع، وقد استمتعت، وعندما صافحته مودعا أخبرني أنه باع الهديه وبثمنها دخلنا السينما ليتأكد...

وأضاف أن عمه يضحكه من قلبه كثيراً ويشبهه أكثر، وأن أباه هو سبب فشل عمه، لذا يكره أباه، وإن كان كثيراً ما يشير إلى شبهه بأبيه عقب تصرفات كثيرة دائماً ما يفعلها. كان ينوي كتابه قصة عن الفتاة التي يعرفها هذه الأيام، إلا أنه عدل عن رأيه ووقف أمام المرآة، وأخذ يرقص حتى تقيأ وقال أنه يفعل مثل زوربا.

فبراير ١٩٩٣



قبل الكتابة

الرغبة الجميلة في أن تصرخ تتبدد حينما تكتشف عدم جدواها. إذن لاتصرخ. كل شيء متناقض وشديد التعقيد، وعندما توشك أن تفتح فمك أو حتى تحرك لسانك داخله تأخذ الأشياء أوضاعاً طبيعية ومنطقية. كل شيء صالح لإثارة الدهشة وغير صالح في ذات الوقت. كيف؟

أنت تفتح باباً صغيراً جداً محكم الإغلاق في سراديب القلب الغائرة لكي تبكي ويكون في بكائك نشيج تعشقه، حين يحدث ذلك يمكنك أن تكون مندهشاً وطفلاً.

لكن الدموع لا تسيل لأن هناك هاتف يأتي ليخبرك كل مساء أن الباب لن يفتح أبداً وأن كل شيء عادي، و إن كنت تصر فعليك بالانتظار. ستتمدد في توابيته اللانهائية حتى يسلمك ل...

أنت تعرف النهاية. التوابيت ذهبية موشاة بأحلامك، على كل تابوت تاريخ مؤجل لبكائك المنشود.

❖

وجود

حدث يوماً أن مت كما يموت الناس، لم يعد لجثتي نفع. وكان أهل قريتي لايعرفون فن الدفن، فما كان منهم إلا أن أحرقوا جثتي ونثروا رمادها في الهواء، تحملني تياراته إلى كل مكان فبعض من رماد رفاتي وجه نحو المشرق، بعض منها نحو المغرب، منها ماذهب شمالاً أو جنوباً والنهاية أنني لم أعد في مكان. تساءلت أجزائي المبعثرة عن بعضها البعض فلم تكن لتألف هذا الضياع. فجأة أصبح لرماد رفاتي قوة تعلو قوة الريح، انطلق يجابهها في أنحاء البسيطة ساعياً نحو ما سقط منه في أرضنا المحبوبة. تجمعت كومة من الرماد، وجدتني أحيا ثانية، يحيطني أهل قريتي، تعلو وجوههم علامات التعجب والدهشة، يتساءلون كيف عاد إلى الحياة. علت همهمات العامة، تعجبت لما يقولون، أدهشتني تلك الأسطورة التي تقول أنني كنت يوماً في عداد الموتى.

❖

حكاية عن صديق

لم يتخيل أبدا أنه سيجيء اليوم الذي يود أن يتعلم فيه الرقص وأنه سيرافق فتاة شقراء جميلة من بلد لا يعرف العيب ولا الحرام، ليدخل بها إلى صالة الديسكو الموجودة بقاع أحد الفنادق الكبرى واضعاً يده على كتفها بينما يحيط ذراعها خصره ولا بأس من أن يقبّلها على السلم المؤدي إلى الصالة. أين هي تلك الأيام التي كان يخاف فيها الجلوس بجانب فتاة واذا جلس يستعيذ بالله من آلاف الشياطين التي كانت تحاوطه. كان يؤمن بأن أجسادهن تسكنها شياطين مردة وأرواح شريرة. كان طاهرا نقيا يصلي الفرض بوقته في الجامع ولاتفوته المواظبة على ذلك الا لخطب جلل. كان يستمع إلى حديث أبيه مع جاره الذي ربى لحيته ولقب بالشيخ، عما يجب ان يتلوه المرء من أدعية قبل أن يطأ زوجته وما هو الوضع المفضل في السنة. حينئذ ساورته المخاوف إذا تزوج أن يشاركه الشيطان زوجته. بل أنه كان يخاف من أن يراه الشيطان عارياً بالحمام فيطمع في مضاجعته دون أن يحس فكان يستعيذ بذكر الله قبل دخوله وبعد خروجه. الرفاق كانوا يقسمون بأنهم شاهدوا أفلاماً جنسية لممثلات شهيرات، ساعتها كان يقول لهم لاترموا المحصنات. وبالرغم مما كان يراه في جسد الأنثى من شيطانية، كان يرى أن روحها أسمى بكثير من أغراض الجسد الدنيئة، يعشق الوجوه الهادئة، يتمنى

أن تكون زوجته هكذا إلى الله ستكون له العون والسند على تخطي الحواجز للعبور الى الله في عالمه السرمدي الخالد، الفناء في الله.... لم يقرأ كتب الصوفة لكنه وصل اليها وحيداً، حاملاً في خياله امرأته الموعودة والتي ستصبح معه كياناً وحيدا منصهراً في بوتقة التوحد.

كان يؤمن بأن الله سيهبه الزوجة الصالحة والقلب الساكن المستنير برحمته إضافة إلى بعض المنح الدنيوية الصغيرة التي تعين على تحمل الحياة. ساعتها كان في السادسة عشرة ولأنه صغير فالصيام وجاء، والأمل في تلك المنحة الربانية أن يبعث الله إليه بالحورية الجميلة والشعور السعيد بالنصر والفخر بعد الاستيقاظ. الله يختبر عباده ليعرف قوة إيمانهم وصديقي فشل في الاختبار الأول، تأخر الحلم لديه، لم يكتف بمرة واحدة أو مرتين شهرياً، كان يريده كل يوم، لم يصبر وكان من القانطين، الاستمناء لم يكن يعرف ماهو، مارسه بتلقائية، عندما دخل إلى الحمام وأخذ يدلك قضيبه مستشعراً لذة سرت في بدنه حتى لحظة القذف، بعدها أصابته غصة يعرف منذ زمن بعيد أنها تلازمه عندما يشعر بالذنب.

تلك هي المرة الأولى، أقسم أنه لن يكررها، حنث بحلفه وصام أياماً ثلاثة وعاود الكرة، يقسم ويحنث و يصوم. الأحاديث مخيفة «ناكح يده كناكح أمه وأخته»، «سيأتي ناكح يده يوم القيامة بيد حبلى»، مازال حاملاً خوفه بداخله. يصلي «إن الصلاة تنهى عن الفحشاء والمنكر»، يصلي ثم يعاود الكرة «لا أستطيع يارباه... كم هي جميلة تلك الشياطين العارية التي خلقتها فأبدعت، لا أقدر يا رباه». من ذلك اليوم اعتبر الاستمناء حقه الشرعي، أيده في ذلك ابن حنبل بذكر أنه مكروه أخلاقياً ومباح وقت الحروب. «وهل هناك حرب أكبر من هذه». الأحاديث السابقة كانت بلا سند، الآن هو في أمان. عندما دخل الجامعة ذاك الوكر الشيطاني للمتبرجات

كان يغض بصره مستغفراً، بمرور الوقت لم يعد هناك داع لذلك وإلا مشى كالأعمى. اكتشف أن مخاوفه مجرد محض هراء، لم يعد يخاف منهن، لكنه كان يشهد الله بأن لا طاقة له بالصوم.

في معهد اللغة الأجنبية التي يدرسها قابل تلك الشقراء وهناك كانوا يقدمون له كتباً ملونة ومقاعد نظيفة وأفلاماً لا حياء فيها وحياة تخلو تماماً من اسم الله.

لم يرفض صديقي تماماً تلك الحياة. قال إنه يريد أن يتخذ طريقاً وسطاً بين مدنيتهم الحديثة وتراثنا الأصيل. في صالة الديسكو وقبل أن يشرب صاحبي مع فتاته أكواب البيرة المثلجة، تمتم «بسم الله».



السيدة الجميلة الأخرى
والسيد المحترم
في المقهى العتيق

كان اللقاء صدفة سينمائية بحتة.

إذ أن ما أرويه لكم لا يحدث إلاّ في السينما، فكثيراً ما تمنيت أن يحدث لي مثلها. أن ألتقي بالسيدة الجميلة في المقهى العتيق أو في المطعم العتيق، أو أن اصطدم بها في الشارع فتسقط حاجياتها، ثم أواجهها فنتذكر الأيام الخوالي، و أتأبط ذراعها بعد ذلك ونذهب إلى المقهى العتيق. لكن شيئا مثل هذا لم يحدث لي، لكنه حدث للسيد المحترم مع سيدة جميلة أخرى.

إذ أن الصدفة قد قطعت عهداً على نفسها بألاتقربني أو تمسني، ربما حرصاً عليّ من الفزع أو لسبب آخر لا أدريه، ربما لأنني لست السيد المحترم، أو أن قدرا سخيفاً جعلني أجلس على كرسى صغير في الجانب الخافت خلف البلاتوه، لأرقب ما يحدث بين السيدة الجميلة الأُخرى والسيد المحترم.

أرقب وأتحسر، أرقب وأمصمص الشفاه، ربما جعلني هذا القدر أراقبهم لكي أعيد روايته عليكم لكي تتأثروا بجمالية المشهد الكلاسيكي ولكي تعرفوا قوة المفاجأة وفرحة اللقاء والذكريات الجميلة والأليمة ولكي تسمعوا

كلمات لها وقع لدى كل من السيدة الجميلة الأخرى والسيد المحترم. تفاصيل الأحداث أقصها عليكم سادتي كما هي نقلاً عن سيناريو محكم،

مراعياً حساسيتكم الشديدة للمبالغة في النص مع أدراككم الشديد أنني أروي وقائع لم تحدث، ولكم تمنيت كما قلت سابقاً أن تحدث لأن عدم حدوثها ربما لايؤرق أحداً قدر ما يؤرقني.

في صباح أحد الأيام بإحدى شوارع المدينة حيث كانت العمارات مبنية على طرز إنجليزية وفرنسية عتيقة، مشت السيدة الجميلة الأخرى، ولقد كانت في الأربعين من عمرها، ترتدي تاييراً أزرق وحول رقبتها إيشارباً رقيقاً، وكعادتها كانت لاتنظر إلى المارة من حولها، فقط كانت فترينات الأزياء تلفت انتباهها كانت تحمل حقيبة يد بيضاء وترتدي حذاءاً أبيض وكانت في خطوتها دلالة كبيرة على أنها محترمة. شعرها القصير الغزير شابه جزء من البياض إلا أن السيد المحترم الذي كان ماشياً على الناحية الأخرى من الشارع والذي نادى عليها حالما رآها قد أربك خطاها المحترمة واختل توازنها حتى كادت تسقط على الأرض، لكنها أعادت التوازن لنفسها ثم نظرت في اتجاه الذي يناديها، فرأت شخصاً له ملامح ليست غريبة على ذاكرتها وقالت لنفسها «أمن الممكن أن يكون هو، غير معقول، كل هذه السنين» وعندما تنهدت كان هو الواقف أمامها، يرتدي بدلة أنيقة، خصلات الشعر الأبيض أكسبته وقاراً ووسامة، لم تكن له أنف مدببة أو أية ملامح بارزة، فمظهره الخارجي لايدل على شيء سوى أنه السيد المحترم وقال في هدوء واتزان:

– أمازلت تذكرينني ؟

– أجل بالطبع أنت فلان.

– مازلت كما أنت يافتاتي... آسف ياسيدتي.

– بل تغيرت والدليل أنني لم أعد فتاتك.

– هل لي أن أدعوك إلى فنجان من القهوة في المقهى العتيق!

- أمازلت تذكر... آه ياعزيزي لابأس ولكن بسرعة لأن وقتي ضيق

ومشيا سوياً، كان السيد المحترم يتمنى أن يتأبط ذراعها كما تمنيت أنا أن أتأبط ذراع سيدتي الجميلة، لكنه لم يكن يعرف ماذا سيكون رد الفعل ثم دخلا من باب المقهى الذي يقع في ممر جانبي بأحد الشوارع المجاورة، المكان لم يتغير كثيراً، جلسا في مائدتهما المعتادة، وبدأ كل منهما في معرفة أحوال الآخر ؛ هي تزوجت، أما هو فلم يفعلها، كان مثلي ينتظرها، يعمل في وظيفة مرموقة بشركة سياحية، هي مديرة قسم بشركة قطاع عام، مع ذلك لم تظهر عليها الآثار الوظيفية، مازالت كما هي رقيقة، لديها طفلان بالمدرسة وزوجها رجل لا بأس به.

قالت له أنها لم تنساه، لكن القدر، والظروف، والنصيب هي التي أعاقت زواجهما، أقسمت له أنه مازال ساكناً لقلبها، ساد الصمت بينهما. مد يده ووضعها على يديها وابتسما سويا.

كان هذا سادتي هو ختام المشهد، مجرد لمسة يد رقيقة وابتسامة أرجو ألا أموت بالمقهى العتيق.

تمت

ملحوظة: الكاتب أخلى مسئوليته تماماً عن الراوي وماسوف يحدث له.



العالم.. بعيون رمادية

في جيبي خمسة وسبعون قرشاً، منها خمسون غير صالحة للتداول، لم أنم منذ البارحة وافكر في فتاة بلهاء لكنها جميلة حقا عيناها هما الجميلتان، فقط عيناها الرماديتان. وانا ادرك تماما انها ليست الوحيدة في العالم بعينين رماديتين ولكن ضيق افقي المشابه لضيق الحذاء العسكرى الذى ارتديته طوال اربعة شهور سابقة لم يمكنّي من ان ارى غيرها في هذا العالم ربما لقلة خبرتي بالجنس الآخر او بالبشر جميعهم.

أنا أستطيع أن أرى دواخلهم بوضوح، هكذا أدّعي لكنني أنظر إليهم في غير اكتراث وأتأمل أحبائي وأصدقائي في خجل.

هل أنا طفل مدلل ببشره سمراء وشعر أسود أشعث وأسنان سوداء منحوتة على شكل مسامير صغيرة؟ هذه صورتي الوحيدة التي رأيتها لنفسى وأنا طفل في الرابعة و مازال الأصدقاء يرددون أنني طفل صغير لايكترث بأي شيء أو أنني مبعوث من قبل قوى غيبية بكوارث أعلن بعدها أننى غير مسئول عنها على الإطلاق.

أجل فأنا أنفق نقودي على الحلوى والسجائر ولقد توعدتني الأم ألا تعطيني أية نقود للسجائر بعد نهاية تجنيدي والأيام الباقية للتجنيد يمكن

حسابها بالساعات. لانني لا أجيد الحساب سألت وائل «الأسبوع فيه كام ساعة»

قال «١٦٨» وبحسبة بسيطة ١٦٨ ×٤= ٦٧٢ ساعة.

ولا انتظم في مواعيدي مع أحد، آكل كثيراً ومع ذلك أدخن بشراهة وأتعاطى أية خمور تتوافر لدينا في سرية تامة، عادة ما أتناولها عند صديق لديه غرفة متعددة الأغراض.

اقرأ جميع الصحف كل مساء وأقوم بقص الأخبار المريبة واستخدم سلطتي العسكرية كرقيب صحفي، وأقدم للقائد تقريراً بما حدث في الليلة الماضية وأنبه في توجس إلى كل ماهو مريب.

حين أصل إلى البيت أنام تحت غطاء ثقيل وأضاجع في مخيلتي ذات العينين الرماديتين، وتتردد على مسامعي كل كلماتها الباردة الميتة، أحس بها وكأنني أضاجع جسداً ميتاً. أصحو لألتقي الأصدقاء في المقهى الكائن بأحد الممرات بوسط المدينة. قد لايكون هناك جديداً، فقط تختلف طريقة قص كل ما نعرفه مسبقاً من شخص لآخر.

في التاسعة تماماً أغادرهم وأحمل صحف اليوم التالي لأعد تقريري اليومي المعتاد، ثم أحاول أن أنام.. دون غطاء.

١٩٩٥/١/٣١

❖

علاء البربري

عبقرية

(١)

بعد أن تشاهد فيلما انجليزيا في برنامج «أوسكار» تقف على كرسى الطقم الجديد وتقول بانجليزية واضحة «هذه هي حياتي» وتهرش في شعرك، وتقول «أحب شعري هكذا» وتصرخ ثم تقول، «وأحب أن أصرخ أحياناً» ثم تشرب البيبسي كولا المثلجة وكأنك تشرب الويسكي، ثم تتصل بأخيك لتعرف هل سيأتي أبوك أم سيبيت عنده، ثم تدخل غرفتك وتخرج سيجارة من العلبة التي اشتريتها منذ أسبوع وتدخن بنهم وتستطعم الدخان في حلقك ثم ترمى بقيتها بعيدا وتسقط نظرتك على المصحف، فتتذكر «الشفع والوتر» اللذين أجلتهما لبعد الفيلم ثم تصرف الفكرة عنك، وتهرش وتقول بالانجليزية «أحب شعري هكذا» وأنت كاذب فى وجهك لأنك لاتحب شعرك المنكوش والذى يتساقط كل يوم كشعر حبيبتك، أتعرف لو تزوجتها ستخلفان ولدا أصلع عبقريا جدا كوالديه.

(٢)

بعد أن هدأت قليلا غيرت القناة، ووجدت مسرحية عربية معقولة، وبعد أن ضحكت قليلا حلمت بحبيبتك ترفع عن وجهك النظارة وتأخذك فى حضنها وعلى «كنبة الطقم» تنامان، ورأيت أمك وهي تسمم بدن أبيك بكلامها عن مصاريف الدواء الشهرية. ياأخي لو لم يكن أخوك فى «السعودية» فماذا كنتم ستفعلون؟! وأبوك هل ترك شيئا لم يفعله لتكونوا مستورين (باستثناء السرقة والرشوة) على أية حال أنت أطفأت نور السلم حتى لايغضب أبوك، ودخلت الحمام مصمما على الوضوء وصلاة «الشفع والوتر» قبل أن تنام.

ابريل ١٩٩٤



كراكيب

تخيل أن الدولاب «البلاكار» سقط عليك أثناء نومك، أو أنك لحسن الحظ لم تكن نائما، وسقط على زوجتك الغبية، بينما أنت تشرب من الثلاجة شربة لبن. وتخيل أن أمعاءك امتلأت بالغازات بما يكفى لإحراجك أمام الموظفين، خاصة الموظفة العانس التى قد تقبل بسهولة الزواج بك على ضرة، أو أن أحدهم رشقك بنظرة (في الحقيقة كان يرشق الجميع، وكأنه اقتنع بأن غيره هو الذي فعلها)، وأنك ظننت أنه كشف نظراتها الوالهة بك، وسر مساحات «المكياج» وكثافته التي طفرت فجأة على وجهها في الفترة الأخيرة.

أو أنك تعفرت جدا، وحقدت على راكبي السيارات الملاكي في شارعك المترب الذي تسكنه منذ سنتين، والذي قيل عن سفلتته كلام كثير منذ اليوم الأول وكله كذب في كذب، أو أنك عندما أردت أخذ «دش» تذكرت أن بالوعة المجاري تنسد بسرعة من أية كمية مياه تنساب مرة واحدة، فاكتفيت بغسل شعرك وتمرير راحة يدك المبللة على وجهك، ورقبتك، والجزء العلوي من صدرك، وتخيل أنك أحسست ساعتها بالحبوب التي ظهرت في كل بقعة من جسمك فأشفقت على العانس، وقلت تصارحها (ولله التدابير).

ستسير إذن واحساسك بأن محتويات الدولاب كلها بما فيها من سروايل امرأتك ومناشف الضيوف البيضاء، وكل ملابس الشتاء المخزونة تحاصرك، وكلما تخرج منها تسقط في غيرها، وستضبط المنبه وأنت تعرف أنك لن تلتفت لصوته إلا لتخرسه، ولحسن حظك (الدائم) لن يرفتك رجل الأعمال الذى يثق فيك ويبعث بك دوما إلى «مشاويره» القذرة ابتداء من شراء قروش الحشيش من «عزبة الشيخ سالم» إلى الاتفاق مع خادمات المناطق الراقية وتحصيل المديونيات من السوق... اسمع.

تخيل أنك مازلت نائما، وأنك فى مصيف تأكل، وتعوم، وتلعب وتنام.

١٩٩٣

❖

ليلا ونهارا

الرجل الشريف ظل ينتقل بين محطات الباص حتى منتصف الليل، وحين أدركه التعب جمع القروش من جيوبه، وقال (لا يهم جبن فى العشاء) ثم ركب الميكروباص.

الرجل الأقل شرفا ركب سيارة أجرة، وسلق بيضتين وأكل الرغيف (الفينو) أكلا، ولم يضاجع امرأته ونام.

الرجل غير الشريف أتى في الصباح بسيارة امرأته الحمراء، وقال «صباح الفل» للعاملين ووقع الأوراق المهمة وتحدث بعض المحادثات السريعة ثم خرج في مهمة لايقدر عليها إلا هو.

الرجل الشريف تحدث مع صديقه عن رغبته في تطليق زوجته الثرية وصديقه نصحه بأن يصبر حتى يكبر اسمه في السوق، لكنه لم يحتمل أكثر من هذا، وطلقها وسلم لها المفاتيح بما فيها مفاتيح السيارة الحمراء. الرجل الأقل شرفا ضاجع في اليوم التالي امرأته (لأنه خميس) وتمنى في سره ألا ينجب من هذه المرة على عكس ما تمنت هي (وكانت خارجة من تعب الدورة وداخلة فى رغبتها)

الرجل غير الشريف نزل من الميكروباص حانقا على السائق الجشع الذى يجلس خمسة مكان الأربعة وأربعة مكان الثلاثة وثلاثة جانبه، ويجمع فى الليلة الواحدة (خمسين فى ستة عشر راكبا يعني ثمانية جنيهات، تقل نصف جنيه (كارتة) وجنيهين بنزين يبقى خمسة ونصف فى عشر مرات حوالى خمسة وخمسون جنيها) يكفونه طبعا لأن يأكل جبنة رومي ويتزوج اثنتين، وهمبرجر أيضا.

ديسمبر ١٩٩٣



غسيل

خلعت معه البياضات، وحشت الحقيبة عن آخرها، وتذكرت غيارها الداخلي، فخلعته، ودسته في ركن ما.

خرج من شارعه الضيق المترب يميل بجذعه ناحية الغسيل، وفي الباص حشره تحت قدم المحصل، ولما بخ المحصل فيه كش، وسحبه أمام كنبة الباص وجلس عليه.

وصل إلى بيت أهله فاشترى كيلو من العنب وكيلو من الموز وصعد للدور الأخير.. قبل الحاجة أمه، وسلم على زوجة أخيه، وسأل عليه، طبطب على ابنه الباكي ورماه في الهواء ولقفه، كررها عدة مرات حتى ضحك الولد ونهج هو، وجلس وهو ينهج.

سأل عن الأخبار، فحمدوا الله وقالوا أن صاحب البيت يريد الهدم وأنه طعن فى قرار التنكيس وأنذر الدورين الأول والرابع لو نكسوا سيضيع عليهم ما صرفوه. قال: «رجل مفتري.. المهم النفس الطويل» دخل إلى حجرة النوم.. ألقى نظرة على الحاج أبيه الممدد من عجز نصفي، قبل يده، فابتسم له الحاج وأغمض عينيه مرة أخرى.

انسحب إلى الحمام ليدس الغسيل في الغسالة (الفول أوتوماتيك) ضبطها على درجة الغليان، وعندما غادر بعد ساعات كان صراخ ابن أخيه يتخافت مع درجات السلم.

أغسطس ١٩٩٢



صفحة جديدة

بنت اللواء متقاعد طلعتْ إلى سطح البيت القديم، وتبعها زميل الدراسة ابن «عم مصطفى» الميت منذ عشرين عاما، والولد يحبها بجد، ولم يبغ تعريتها –كما فعل السابقون– عندما حضنها بشدة وجس الصدر الكبير بيدين متعثرتين، وكأنهما لا يقصدان الجس، وعندما فتحت شفتيها لتتلقى قبلاته دار بخلده أنه لايصح أن يحرج حبيبته ويضعها في هذا الموقف، فاكتفى بتقبيلها حتى ازرقت شفتيها.

وفى مرة تغابى فسألها عن خطيبها العائش في «المانيا» وينتظر فراغها من الدراسة، فقامت وارتدت قميصها وبكت ثم صرخت وبكت وقالت له: لابد أن تمشي الآن، ومع أن الساعة كانت بعد الثانية صباحا وقميصه (مكرمش) ولم يكن قد رمى ماءه بعد، فقد هدأها وطلب مكواة وكوى القميص وغادر منطقتها الراقية متجها إلى الميدان (ومن هناك ربنا سهل له ووصل بميكروباص إلى ناصية شارعهم).

ومع أن الولد اعتذر لها في التليفون عن سؤاله الأهوج واندفاعه عندما أخذته الكرامة (الذكورية) وحط نفسه مكان خطيبها وطلب فجأة أن يكفا (بعد هذه المرة) عن المقابلات السرية، سواء في بيتها أو على سطح بيتهم،

إلا أن البنت قالت إنه أهانها وكأنها غير محترمة، وتفعل هذا مع كل من تقابله، وبالتالي قطعت علاقتها به نهائيا، وعاد أهلها من المصيف فى نهاية أيام العيد.

نوفمبر ١٩٩٤



نادين شمس

الداخل.. الخارج

أرى عبر الزجاج المتسخ، السطح المواجه. لا أتبين منه سوى السور القصير المتهدم في أكثر من موقع. تصل إلى أذني كلمات الواقف أمامي صدئة، متناثرة، بلا دلالات.

تلاشٍ

تدريجيّ

امرأة تحمل طستاً كبيراً مليئاً بقطع الملابس المغسولة. تلف رأسها بمنديل أزرق، يتهدل منه شعرها الأسود. جلبابها الوردية الطويلة مبتلة في منطقة البطن، ملتصقة على جسدها الممتلىء، تبرز تجويف السرة وتكور الجزء الأسفل المترهل....

تلاشٍ

تدريجيّ

عندما احرك رأسي مبتعدة بوجهي عن النافذة، كثيراً ما تلتقي عينانا. شيء ما فيهما ميت. أشرد في حركاته العصبية، اتجاهات يديه، الأشكال التي

ترسمها في الهواء ثنيات الأصابع وانفرادها، كفه الصغيرة المطبقة في تحدٍ، تقلصات الوجه العاري من التفاصيل، تمدد شعيرات الشارب الرفيع عند انفراج الثغر، حركة الشفتين الغليظتين وهي تنطبق وتنفصل، تصبح دائرية، بيضاوية، مزمومة، منفرجة، حمراء، صفراء....

تلاشٍ

تدريجيّ

منهمكةٌ في تثبيت المشابك في قطعة ملابس داخلية رجالي. طرف لسانها ينتقل من زاوية الفم اليسرى إلى زاوية الفم اليمنى. في حركات رشيقة تنثني لتلتقط قطعة ملابس وتنفرد لنشرها على الحبل الممتد بعرض السطح. شقي الثديين المترجرجين عند كل انحناءة تلتقطهما عيناي، كلما تعامد نصفها الأعلى على نصفها الأسفل وانفتحتْ الجلباب عند الصدر في مواجهتي...

تلاشٍ

تدريجيّ

يقف عارياً تماماً في نصفه الأعلى يدخن سيجارة. يسند ذراعه اليسرى على حافة نافذته المطلة على السطح. عيناه تتابعان حركات الجسم اللدن بتلذذ. تغوص في المؤخرة العريضة عندما تنثني ملتقطة قطع الغسيل....

تلاشٍ

تدريجيّ

نقطة عرق تنزلق في يسرٍ من مكان ما من قمة رأسه الأصلع لتلتقي بأخرى اختبأت بين شعيراتِ الحاجب أو برزت على الجبهة، فتعصرهما

الثنيات اللحيمة المتوازية قبل أن يرفع منديله الورقي ويمتصها، فتسقط على أعلى الرمش الأوسط قطعة ورقية دقيقة بيضاء.

في السقف كانت المروحة معطلة

تلاشٍ

تدريجيّ

الشمس آخذة في الهبوط، صانعةً ظلالاً طويلة مملة للأشياء والبشر وللسورِ القصير على الزجاج المتسخ، فتقسمه نصفين: نصف مترب مضيء، ونصف مترب مظلل.

ينتقل وجهها المندى بقطرات العزق من ذلك النصف الأعلى إلى ذلك النصف الأسفل فيبدو مضيئاً تارة ومظلماً تارة...

تضيع ملامحه في أعلى ثم تصبح دقيقة واضحة في أسفل....

تلاشٍ

تدريجيّ

شعيراتٌ حمراء دقيقة تتقاطع عشوائية في بياض عينيه. ينسدل جفناه العلويان بحركة آلية ناعسة على فترات متباعدة لتنضما إلى الجفنين السفليين، فيرتسم خطان داكنان متجاوران أسفل الحاجبين.

رعشةٌ خفيفة في أطراف الأصابع الصفراء التي يرتفع ثانيها وأوسطها بين الحين والحين يلتقطان السيجارة ببطء ثم يعيدانها إلى الفم فينساها....

تلاشٍ

تدريجيّ

في لحظاتٍ مختلسة يلامس طرف ركبته اليمنى طرف ركبتها اليسرى.. بجانبي.

بخطوات محسوبة تسير اليد السمراء المشعرة على أطراف أصابعها لتلتقي في منتصف الفراغ الخشبي الفاصل باليد الصغيرة التي تسحبها الأصابع بتردد.

تلاشٍ

تدريجيّ

تخللت أصابعه الرفيعة غابة الشعر الأسود الكثيف وهو يدعك صدره ببطء بيده اليسرى، متأملاً تفاصيلها تارة، مختلساً نظرات سريعة خلفه داخل المنزل تارة.

ومن خلف الجدار الذي يختفي وراءه نصفه الأسفل، تهبط اليد اليسرى فتبدو عضلات الذراع مشدودةً، منتصبة على اثر الحركة الآلية....

تلاشٍ

تدريجيّ

شفتاه المرسومتان بدقة تترنمان بكلمات تهتز على اثرها رأسه الحليق يمنةً ويسرة. ثبّت بإحكام غطاء رأسه الميري الأسود ذا الحافة الحمراء التي غطت قمة الحاجبين.

تتعامد الشمس مباشرةً على الوجه الخمري المنحوت. تبرز عظمتا الفك العلويتان فتلمع عليهما ذرات العرق الصغيرة المتداخلة الممتدة حتى عظمتي الفك السفليتين الأملسين....

تلاشٍ

تدريجيّ

تزداد الفتحة الصغيرة أعلى سوستة السروال، تدريجياً عندما يضع يديه في الجيب الجانبي. تتشكل على نسيجه من الخارج الحدود الدائرية لبدايات الأصابع وهي تتحرك في عصبية.

ينزلق المستطيل المعدني المثقوب بسلاسة لزجة إلى أسفل، وعبر الشق الطولي المتزايد أخذ يظهر اللون الأبيض للباسه الداخلي....

تلاشٍ

تدريجيّ

انتفرت عروقها الخضراء والزرقاء على اثر الضغطة القوية التي كومت أصابعها في حلقة واحدة. يتسلل الابهام الغليظ ضاغطاً يشق طريقاً في الكف الصغيرة يصنع خطاً أبيض، ينفذ بين السبابة والوسطى اللتين ينغرس ظفراهما في اللحم الأسمر.

قطرة عرق تنفلت من بين اليدين، تسقط على الأرض في بركة دقيقة متموجة الأطراف....

تلاشٍ

تدريجيّ

رغم حركة قدميه الثقيلة بالحذاء الضخم العالي، استقرت البندقية على جدار البرج ساكنة. ظلالها الحادة تغطي عينه اليمنى وأنفه والنصف الأيسر من الفم. عندما تبتعد الريشة البيضاء الهاوية أمام البرج عند محاولته الإمساك بها بكلتا يديه، يبتسم، ثم يعود جسده إلى الوضع السابق ليرتفع الحذاء الثقيل

من جديد ثم يهبط مرةً بعد مرة في ايقاع رتيب....

تلاشٍ

تدريجيّ

عندما أمسكت بآخر قطعة غسيل، كان عنقها قد تشبع بطبقة لامعة من العرق بدت كالزيت عندما التفتت في اتجاه الشمس الساقطة. دفعت كفها اليسرى بكسل متفرقة الأصابع ووضعتها أمام عينيها بمسافة. وعلى مهل ألقت بالكتلة البيضاء على الحبل ورشقت فيها مشبكين. انتصبت ثم انحنت تلتقط الطست وتستدير تاركة اياه يتدلى بجانبها ويصنع وراءها خطاً من المياه يتكون نقطة نقطة واختفت...

تلاشٍ

تدريجيّ

روائح الطبيخ والسجائر الرخيصة والعطور والجوارب الوسخة تتناغم في أنفي ومع الكلمات المطحونة المتراكمة في أذني. بطرف إبهامي أمسح عرق جبهتي، ومن جديد تتحرك الكتلة الممسوخة في كل الاتجاهات.

تماماً في النقطتين السوداويتين الصغيرتين اللتين تتوسطان الحدقتين أثبت عينّي. أتعرف فيهما على النهاية. أنزل جفني بهدوء ولا أعد أرى شيئا....

إظلام مع انسدال الجفون

❖

(Love story)

وقفت أمام زجاج النافذة تتابع ما يجري في منازل الجيران. كانت تأكل شيئاً اشبة بالآيس كريم، أثار لعابي. تذكرت ان هذا المشهد قريب من مشهدٍ آخر وددت ان اكتبه في سيناريو لم يكتمل.

لا أعرف لماذا لم احاول طوال الساعتين ان انظر اليه...، وربما لأنني كنت استمتع بمتابعة علاقتها بصديقها «الجاي» البدين وبأشرطة البورنو التي استعاضت بها عن حبيبها، فلم احاول ان انتزع نفسي من التركيز لاواجه عينيه. ظللت اشاهد بنصف وعي.

عندما لمست يده الرطبة كتفي، التفتُّ. كان يبتسم. اعتذر عن التأخير. كنت اعرف مشكلته مع التبول كل صيف. كان الزحام يزداد امام دار العرض، سألته عن رأيه في الفيلم. قال انه أعجبه خاصة شخصية «فرانكي» قال انني اشبهها كثيراً. ورغم تأكدي من عدم وجود اي ملامح مشتركة بيني وبين ميشيل بفايفر، إلا انني عندما توقفت لأعبر معه الطريق، استدار جذعي تلقائياً، فلمحت وجهي في زجاج سيارة. كنت أنا. وبينما استعيد وضعي الاول، لاحظتِ ان يده تعود إلى جانبه. عرفت انه حاول ان يمسك

يدي ولم انتبه.

حدثني عن ذلك المخرج الايطالي المشهور. كنت أحبه. نظر إلى الإشارة التي تحول لونها إلى الأخضر، وقال انه لايعرف كيف لم الاحظ التوافق الكبير بيننا في اشياء كثيرة امسكت يده واخذت اداعب عروقه النافرة.

ضغط على يدي دعاني لمشاهدة الفيلم الأجنبي للمخرج الإيطالي في شقته. نظرت إلى الساعة بسرعة ولكني لم التقط الوقت. وافقت. واردت ان اقبله بشده في عنقه ولكن ابواق السيارات جعلته يسارع بالابتعاد عني قليلاً وترك يدي. لمحت في المرآه عيني سائق التاكسي مثبتة علينا.

سقطت علبتي وسالت البيرة على زجاج المنضدة. قال لي ألاّ انزعج فسيقوم هو بتنظيفها الآن، مع ان ذلك لن يؤثر كثيراً في المنزل لأنه كما أرى يشبه «سوق الكانتو». ضحكت. إلا ان خيطاً من السائل الأصفر امتد من المنضدة حتى السجادة كصنبور ضعيف.

بعد أن اغلقت زجاج النافذة. توجهت إلى الفراش. مررت امام المرآة، فلاحظت اني عارية تماماً، وان جسدي قد اكتسب لوناً آخر بفعل الإضاءة الحمراء في الحجرة. لم اتعود التجول عارية. اسرعت إلى الفراش وسحبت الغطاء على جسدي. كان هو ايضاً عارياً عندما دخل. ولون جسده اقرب إلى لون جسدي. وقف مستنداً إلى المرآة بعد أن ضغط زر التشغيل في الكاسيت. اخذ ينظر إليّ مبتسما وقال ببساطة انه خانني في الصباح. وعندما لاحظ انزعاجي، اخذ يضحك مشيراً إلى النتيجة التي كتب عليها تاريخ ١ ابريل... قفزت من الفراش لانقض عليه وعندما هممت بذلك، كانت هي تقف امام المرآه التي تكسرت إلى نصفين وأخذت قطرات الدم تتساقط بسرعة من

يديها. كان لزجاً وساخناً. راحت تتأمل الكرات الحمراء وهي تنبثق من الجروح التي لم تعدتراها ثم تعبر التعاريج وتتكور في اطراف الأصابع وتتعلق لثوان ثم تسقط على قدميها. لم تعد تسمع شيئا سوى موسيقى الروك وانغام الجيتار الكهربائي الصدئة. كل شيء حولها يهتز: الزجاج، الكتب، الاوراق، بنس الشعر على التسريحة قطع المرآة المهشمة. فقط تشعر بالذبذبات تنساب عبر خلاياها صاعدة من الارض إلى ساقيها إلى عضوها إلى ذراعيها، ثدييها، عينيها... اخذت تهتز هي نفسها نصف نائمة وعندما رفعت راسها شاهدته في المرآة يجلس خلفها وربما كان يدخن السيجارة ذات العلبة الزرقاء. ركزت عليه بصرها عبر خصلات شعرها الهائج الساقط على وجهها، ثم احنت راسها قليلاً ورفعت ثديها قليلاً وراحت تمص الحلمة البنية التي امتزج لونها بالدماء، بتلذذ وهدوء.

قبلني أو قبلها لااذكر. ولكن طعم السجائر ذات العلبة الزرقاء تخلل لعابي ورائحة العرق الممزوج بالتراب وبعطر شائع علقت بانفي. اذكر فقط انني عندما شعرت بسخونة المكان وثقل جسده وانفاسه اللاهثة على عنقي فتحت عيني. كان السقف أبيض. انحرفت برأسي جانباً. ومن بين كتفه ورأسه المائل، استطعت ان اراها عبر قضبان صدئة تقف وحيدة والرياح الساخنة المتربة تصطدم بجسدها من الخلف فيلتصق ثوبها الرقيق بإليتيها ويدخل بين فخذيها الصغيرين.

وراء القضبان كان هو ممدد على فراش أبيض بقميص أبيض وسروال وحذاء اسودين. بعض الذبابات كانت تطن بالحجرة.

هيثم الورداني

اختفاء الشخص

ثلاث ذبابات تمشي على قدمي، سوادها المقزز ظاهر على اللون الأبيض لجوربي، كانت تتحرك بعصبية من أعلى إلى أسفل ثم تقفز خطوة أو خطوتين، تقدم ذباب آخر وأخذ يطير حولي مصدراً زنة غليظة. في مواجهة قدمي على المقاعد المقابلة هناك رجل نائم وجسده ملتو ورأسه مدلاة ناحية الأرض، الذباب كان يحاول جاهداً أن يقف على شفتيه المفتوحتين، أسفل المقاعد الثلاثة التي أمامي كان هناك صبي ينام وقد التصق وجهه بالأرض بشدة، كان ينام عكس اتجاه النائم فوقه. تناثرت بضعة مقاعد خشبية خضراء، كانت متسخة أيضاً كبقية المقاعد ولونها ضائع، على المقعد الذي بجانبي ترقد حقيبتي الصغيرة الزرقاء.

مصباح وحيد في الردهة يصدر ضوءاً أصفر باهتا، كان معلقاً بالسقف بسلك ابيض رفيع، وكانت الجدران التي تحاوطني شديدة الاتساخ تعلوها آثار من الشحم الداكن لأصابع آدمية كثيرة وطبقة من التراب تظهر بوضوح في الجزء العلوي منها، إنها الثالثة والليل طويل لا ينتهي، كنت أنظر إلى الأرض، بلاط أحمر باهت به تجاويف عريضة في أركان كل مربع، أخذت أجمع التجاويف وأضعها جوار بعضها أصنع منها شكلاً هندسياً منتظماً سرعان ما ينهار فأحاول أن أشكل شيئاً أخر ولكن كل الأشكال التي

أتخيلها تختفي ولا يبقى إلا مربعات البلاط الباهت. أحسست بالبرد، كنت في حاجة لبعض الدفء، وضعت الحقيبة في صدري، حاوطتها بذراعي متحسساً ظهرها الطري، أخذت أرفعها بقوة في حضني وأنا أداعب العجلات التي في مؤخرتها، ثم دفنت وجهي في وجهها مستسلماً لذلك الخدر الذي يسري في جسدي.

سمعت صوت أقدام ثقيلة تأتي من خلفي، كانت متمهلة ثم توقفت: نظرت خلفي فرأيت رجلاً طويلاً على المدخل الواسع المؤدي إلى الردهة، كان يحدق في المكان ثم رمقني بنظرة طويلة وأطلق السلام. لست متأكداً إن كنت تفوهت بشيء أم لا ولكنّي لم أرغب أن أرد عليه. اتجه الرجل إلى المقاعد الجانبية وتمدد، سرت حركة خفيفة في النائمين أمامي فتطاير الذباب الذي يلفهم، أنزلت ساقي من على الأخرى ونهضت، حملت حقيبتي وتحركت خارجاً من الردهة، أخذت أدهس أسراب النمل التي تتحرك على الأرضية، كان النمل يحاول أن يختبىء في تجاويف البلاط الأحمر الباهت، ولكني كنت أدهسه باستمرار بلا سبب. إنها الثالثة والليل طويل يهزأ بي.

ضوء المصباح الأصفر الذي في الردهة يمتد قليلاً إلى الخارج حتى يغرق في ضوء المصابيح البيضاء التي على الرصيف، وضعت حقيبتي جوار صندوق قمامة أصفر معلق، الأرضية هذه المرة كانت مربعات صفراء وحمراء باهتة بدون تجاويف، أمامي على الطرف الآخر من الرصيف تقف شجرتان كبيرتان متداخلتان، أغصانهما غزيرة بالأوراق الصغيرة المدببة، كثير من العصافير الصغيرة تنتقل من غصن إلى آخر وهي تزقزق، كانت أصواتها متداخلة وحادة، يبدو أن العصافير كانت تشم رائحة الصباح الداخل، الأغصان كانت تخفي جانباً من غرفة كبيرة يظهر من نافذتها رأس شخص ما يتحرك، بدأت أتمشى بجوار قضبان الحديد، شد بصري لمعان القضبان

المعدنية، لمعان شديد كأن الضوء ينبعث من داخلها، وأسفل منها تمددت ألواح خشب عريضة متوازية مظلمة ومثبتة بالقضبان.

كالعادة أفكر في حياتي وأنا أمشي، كنت قد وصلت للجسر المعدني في طرف المحطة فتوقفت وتحركت في الاتجاه المعاكس، سمعت بعض أصوات متناثرة جعلتني أظن هناك بعض الأشخاص بدأوا في الظهور، أكملت رحلتي حتى وصلت إلى الجسر في الطرف المقابل من المحطة فتوقفت، رجعت، تماماً كالبندول البطيء المنتظم. تلك هي حقيبتي التي أمر بها الآن، إنها قابعة على الأرض مستندة إلى الحائط، لاأدري لماذا لفتت انتباهي ولكني توقفت واستندت إلى عامود النور، ركزت ظهري وثنيت رجلي، انتقلت برودة العامود إلى جسدي، أشعلت سيجارة وأخذت أحملق في عود الكبريت الذي يحترق بين أصابعي حتى أصبح أسود مثنياً، رميته، رفعت رأسي إلى أعلى وأخذت أدخن، اختلط دخاني بالضوء العائم المخروطي الساقط من المصباح فوقي، أخذت أدخن.

إنها الثالثة ورحلتي من الجسر إلى الجسر لا تنتهي، أعرف ما سيحدث عندما أعود، سأفتح غرفتي وأجد مكتبي وكرسيي وسريري وكتبي ومرآتي موجودين تماماً كما تركتهم. ظهر رجل عجوز محني يمشي ببطء، صوت خطواته كان مختلطاً بنقرات العصا الخشبية التي يتعكز عليها، وعند أقرب نقطة من الحائط جلس على الأرض ثم تمدد، تأكد من أن عصاته بجواره ثم أخذ يسعل:... آه يابا.

في النهاية، أطلق القطار صفارته المرعبة معلناً عن وصوله، وظهر شيئاً فشيئا الضوء الدائري الذي في أعلى مقدمته، أخذت الحركة تزداد استعداداً لدخول القطار، ذهبت لأحضر حقيبتي....... لم أجدها، لقد كانت هنا

في هذا المكان، لكنها غير موجودة الآن، هل سرقوها؟ التفت لكي أسال أحداً ما عنها، لم يكن هناك أي شخص.... لقد اختفوا جميعاً، أخذت أجري لوحدي في طول المحطة،حتى القطار لم أعد أشاهده، لقد رأيته وهو قادم، لم يعد هناك أي أثر للقطار، لم يبق سوى القضبان المعدنية والبلاط والمقاعد وصوت حفيف الشجر.

وقفت في مكاني، وأشعلت سيجارة، ثم عدت إلى النقطة التي توقفت عندها.

❖

الاستغراق في اللعب

(١)

أحمد قال:

معاك نص جنيه سلف.

تتحرك الكرة داخل موجات الغبار التي تثيرها أقدام اللاعبين، ارتفعت من قدم «مصطفى» بمهارة إلى رأسه بسرعة لكي يرسلها في الناحية العكسية، عندما تصل الكرة إلى «عز» يثبتها أسفل قدمه لثوان ثم يرسلها قطرياً حيث يجري «مصطفى»، يتحرك في اتجاه اليمين ويدفع الكرة ناحية اليسار فيعبر اللاعب الذي أمامه، وبنفس المهارة يرفعها فوق رأس القادم. تتحرك الكرة داخل موجة الغبار الجديدة لكي تصطدم بالتل الترابي الصغير المجاور.

انخلع حذاء «بطّة» وهو يضرب الكرة، طار عالياً ثم سقط على رأس «هشام»، ضحك الجميع، بطة قال:

– معلش جبتها واسعة شوية.

هشام قال:

– عليا الطلاق انت راجل وسخ.

وأصر على أخذ فاول.

«اسماعيل» كان مستلقيا جانبا، أمامه «سماح» الصغيرة بفستان أصفر فاتح جالسة على حجر عريض، كانت تقزقز اللب من قرطاس في يدها، «اسماعيل» استند على كوعه والتفت إليها، أخذ يبتسم ثم بدأ يكلمها.

«يوسف» حارس المرمى أصر على الوقوف في ضربة الجزاء لأن الباقين حاولوا الوقوف مكانه، يجب عليه أن ينتبه جيداً للزاوية اليسرى السفلية لأن هشام يحب دائماً اللعب في هذه الزاوية. هشام قال:

– حاسميك رجل لو صدّيتها.

وقف يوسف ثم طار ناحية اليسار، اصطدمت الكرة بالحجرتين (العارضة) ثم رجعت ناحية هشام، جرى الجميع في نفس الاتجاه حتى يوسف حاول النهوض والتحرك في ذلك الاتجاه، علت سحابة كبيرة من الغبار جعلت الجميع يسعلون.

تعالت ضحكات اسماعيل وهو ينظر إلى «سماح» ثم وضع يديه بين فخذيه وضم ساقيه بشدة. نهضت الفتاة، ألقت نظرة أخيرة على الولد الممدد وهي تبصق قشر اللب، ثم مشت وهي تبتسم، غرق اسماعيل في الضحك لمدة طويلة ثم اعتدل في جلسته، نظر في اتجاه الفتاة ونهض هو الآخر ومشى.

صرخ عمرو:

– ياولاد القحبة.

كان القادمون يحملون عصياً ويربطون عصابات ملونة حول رؤوسهم، أخذوا يلقون الطوب. مع بعضهم علب معدنية صدئة يدقون عليها بعيدان خشبية، تقدم كبيرهم، كان بعصابة سوداء، أشار لهم بالتوقف، أمسك الكرة وألقى بها بعيداً، ثم دفع يوسف فسقط على الأرض، يوسف قال:

– ليه كده يا «صيني» أنا عملت لك حاجة؟

«صيني» قال:

– لم العيال دول واخرجوا من الأرض.

نهض يوسف وأخذ ينفض الغبار، قال بصوت مرتعش:

– احنا بنلعب هنا كل يوم.

اقترب صيني من يوسف وشخر شخرةً حادة، أمسك بقيمصه من عند صدره، حاول يوسف أن يحمي رأسه بيديه، جذبه صيني حتى اقتربت رأسيهما ثم أخذ يهزه بشدة. صيني قال:

– أنا مش عايز اشوف وش امكم هنا.

ذهب هشام ليحضر الكرة، تحرك مصطفى وبطه وآخرون ليلبسوا شباشبهم الموضوعة جانب العارضة.

صرخ عمرو:

– ياولاد القحبة، ياولاد القحبة.

جرى بسرعة ناحية صيني، أمسك برأسه ووضع ساقه خلف ساق صيني ودفعه لكنه لم يسقط، حاول مرة أخرى ثم ضربه على رأسه بالحجرة التي في يده، صرخ صيني صرخة واحدة عالية ثم سقط، بدأ الدم يخرج من

رأسه، ثم أخذ يصرخ صرخات متقطعه وهو يضع يده على رأسه ليوقف الدم المنبثق.

تحرك الجميع بسرعة، كل أمسك بشبشبه في يده وأخذ يجري في اتجاه ما.

(٢)

لم يروني خلف النافذة اليوم فقد كنت منتبهاً، حملت كوب الشاى وجلست على المقعد، أرخيت نفسي وأغلقت عيني، أخذت أنصت إلى سكون الغرفة. كنت لا أزال منتظراً رنين التليفون.

(٣)

الأولاد يلعبون كل يوم أسفل نافذتي الوحيدة.



رجل / امرأة

– هل ستنتظرينني؟

– أنتظرك، ماذا تعني؟

كنت مستنداً إلى الحائط وهي تقف أمامي، نظرت إلى عينيها، تحركَتْ إلى جانب الغرفة وجلست على طرف الفراش ثم خلعت قميصها وألقته على الأرض، مررت اصبعها على الخصلات المنفلتة من شعرها لتعيدها خلف أذنها وتنهدت.

سحبت يدها بهدوء على مفتاح المصباح لتطفئه ونحن متلاصقان، ثم أشعلت عود كبريت وأمسكت شمعة بيضاء مستديرة وقربت الشعلة حتى بدأ الوهج يظهر

– أنا مصري.

– أنا لست عنصرية.

جلستْ على طرف الفراش ثم خلعت قميصها وألقته على الأرض، مررتْ إصبعها على شعرها، فردت جسدها على الفراش. نهضت من جوارها، جسدت نفسي على تماسكي لأني لم أقل لها إني أحبها حتى لا

أخدعها، كان الجو ساخناً رغم المطر البطيء المنتظم الذي في الخارج، خلعت الجاكت واستندت إلى الحائط.

كنّا مانزال متلاصقين حين قادتني إلى الغرفة ثم سحبت يدها بهدوء على مفتاح المصباح وأطفأته، تناولت شمعة مستديرة بيضاء ثم أشعلت عود كبريت وقربت الشمعة من الشعلة، بدأ الوهج الضعيف في الظهور، أزاحت كتابي المرمي على الفراش وألقت بجسدينا معا.

– أنا مصري.

– أنا لست عنصرية، هل لك حبيبة في بلدك؟

– لا، أنا لم أحب من قبل.

المطر لم يتوقف منذ ثلاثة أيام، ظل يضرب بانتظام النافذة الزجاجية المحفورة في الحائط، تحت النافذة يقبع الفراش ذو المرتبة الواحدة الموضوع على الأرض، والوهج الخافت يتحرك في موجات تضعف تدريجياً، تسقط على السجادة الشرقية المثبتة على الحائط، ثم النبتة الصغيرة الموجودة أمام الباب، ثم القناع الخشبي لوجه يصرخ، موضوع على الطاولة القصيرة، ثم الاستدارة الناعمة لنهدها الأيمن قبل أن يختفي الضوء تقريباً عند التحام فخذيها المكتنزتين اللدنتين بظهرها الأملس.

قربتْ الشمعة من الشعلة، ثم فردتْ جسدها على الفراش ورفعت يدها كأنها تسبح ثم أغلقت عليّ جسدها، اندهشت من ملمس يدها على ظهري، اندهشت أكثر من السهولة التي تحقق بها حلمي بأن أدفن رأسي بين نهدي امرأة، أخذت أفرك كتل اللحم الطرية التي في المقدمة والمؤخرة وأنا لا أصدق. نهضت من جوارها، حسدت نفسي على تماسكي لأني لم أقل لها إني أحبها.

الهواء عندما يسخن يصعد إلى أعلى ويلتصق بالسطح الزجاجي المصقول للنافذة ثم تتكون طبقة رقيقة من البخار على سطح الزجاج.

شهقت، أخذت تمتص أصابعي، وسط الزغب الهائل الذي ينمو على حافة بطنها هناك نمش خفيف يظهر أحياناً ويختفي أحياناً داخل هذا البياض المحمر. كنت مستمتعا برائحة بشرتها الخافتة المختبئة في الحنايا الكثيرة المنتشرة على طول جسدها. نهضت من جوارها ومشيت حتى استندت إلى الحائط، ابتسمت لها وهي تضيء الشمعة البيضاء المستديرة ثم تخلع ملابسها.

استندت على الحائط وأنا متوتر، أخذت أتابع بأذني الدقات المنتظمة لحبات المطر وهي تدفع نفسها لتصطدم بالسطح الخارجي لزجاج النافذة، وقفت أمامي، فاجأتني عيناها شديدتا الزرقة فظللت متعلقاً بهما، ثم حاوطتها بذراعي والتصقت بها بشدة، شهقت، عدلت من وضع رأسها لتواجه رأسي تماماً واقتربت حتى التقطت شفتيها، خلعت قمصها وألقته على الأرض، مرّرت إصبعها على شعرها لتعيده خلف أذنها وشهقت.

مددت إصبعي وكتبت اسمها على النافذة، ضحكت وغمزت لي لتؤكد أنها فهمت ما هو مكتوب بالعربية، نهضت ثم كتبت اسمي بحروف لاتينية جوار اسمها، فردت جسدها على الفراش ورفعت يديها كأنها تسبح ثم تقلبت لتصبح في مواجهتي.

تأوهت وأنا أرتعش، كان الهواء الخارج قوياً حتى وصل إلى الشمعة التي تضيء المكان، ارتعش الوهج هو الآخر بشدة قبل أن يختفي كل شيء.

– هل تسافر غداً؟

– نعم سأفتقدك.

– وأنا ايضاً سأفتقدك كثيراً.

– هل ستنتظريني ؟

– أنتظرك ، ماذا تعني ؟

وابتسمت .



(..........)

(١)

الوعاء الفخاري موضوع على إفريز النافذة العريض.

ينفجر الماء إلى الخارج وهو يتلوى في كل اتجاه. لأول مرة يعجز جسد الوعاء الفخاري عن الاحتفاظ بقدرته على الثبات ويتحرر من شكله الأملس المتصل. أنين أجش، قطع متطايرة غير متماثلة. التحرر المفاجىء لجسد الوعاء الفخاري أتاح مسارات أكثر ثورية لانفجار الماء، تدفق عنيف ثم انحراف مفاجىء لاتجاهات عكسية، قطرات تتزاحم ثم تتناثر على شكل الألعاب النارية. يستمر التمرد. غبار الفخار الأحمر. برشاقة تتدافع القطع الفخارية المدببة في رقصات لولبية. تنفض عن نفسها وهي تدور قطرات الماء العالقة، يرتسم حولها خيط من تلك القطرات المتحررة، هذه الخيوط المنفلتة تتداخل على حدود الأشكال الهلامية السابحة للماء. تتوهج البقع المائية المتناثرة في الهواء ويزداد التوهج عند أطرافها المرتعشة.

(٢)

الوعاء الفخاري الموضوع على إفريز النافذة يفصل بينه وبين جانب

الجدار رأس آدمية.

الحركة الإنسانية للرصاصة المنطلقة تجعلها تمرُّ برشاقة بجوار سطح الوعاء الفخاري حتى تنغرس بثقة في جانب الجبهة. نقطة حمراء بقلب أسود ورتوش كثيرة. تنفذ الطلقة من الثقب الذي حفرته بفضل حرارة سطحها الملتهبة والنهاية المدببة لجسدها. تنجرّ الرأس بعنف حتى تصطدم بجانب الجدار تجاوباً مع الرصاصة السريعة التي في داخلها. بقعة حمراء عريضة تنتهي بذيول رفيعة تسيل على الاطار. الارتباك الحادث على طول الجسد يشبه الشوط الأخير في ممارسة الجنس. عضلات الوجه متقلصة وتبقى في العين نظرة الدهشة الصافية وربما بعض الشظايا القادمة من الداخل. دوار. يتبلل الوجه المثلث الذي يأخذ في الانتفاض بجنون، في انتفاضاته المجنونة يحاول بيده أن يزيح الدم الثقيل اللزج. تتجمع بعض القطرات داخل الفم الذي أطلق تلك الصرخة المرعبة. لابد أن جزءاً كبيراً من عظام الجمجمة قد تحطم عند دخول الطلقة، ربما انفصل جزء منها وتدلى. يستمر احتراق الأنسجة الملاصقة لمسار الطلقة. نفق ساخن مظلم ممتلىء بالدم والأعصاب. النزيف يجري سريعاً قوياً ثم يأخذ في الهدوء تدريجياً وهو يخرج من الثقب الصغير. ارتعاشات لباقي الجسد وهو يتلوى. يمتلىء المكان بطرطشات الدم القانية، تخترق الهواء كخطوط انشيابية تتناغم مع الإيقاعات المعلقة لأطراف الجسد.

(صفر)

ثم ماذا سيحدث ؟

يعود السكون مرة أخرى. حفرة صغيرة في الجدار. بصمات مختلطة للأصابع باللون الأحمر القاتم. جزء مشوه من قاعدة الوعاء. الجسد هامد مدلى من النافذة. بقعة من الماء الساكن مختلطة بالغبار الأحمر. ماهي رائحة اللحم المحروق؟ قطرات تلمع قبل أن تسيل باستسلام على طرف الإفريز. هناك خطان دائريان عند بطن الوعاء. ربما استطاعت الطلقة أن تخرج من الجمجمة أم أنها مازالت حبيسة ؟ لابد أن الطلقة أحدثت ثقبين متقابلين، وهي تخرق بطن الوعاء مارة بالماء الراقد قبل أن تسكن في جانب الجدار. كيف يمكن الهروب من تلك النتيجة الحتمية ؟ هل يمكن إطلاق الرصاص بدون موت؟ هل رآني الرجل؟ هل شرب من الوعاء الفخاري أم أنه لم يكن هناك ماء داخل الوعاء؟ كم الساعة الآن؟ هل سأهرب ؟

وأنا أنهض أقف عادة لثوان حتى أتحاشى الاصطدام بأي شيء. أحياناً أنظر خلفي وأنا أمشي. اليوم يبدأ التوقيت الشتوي. إذا ركبت ميكروباص سيتبقى معي خمسين قرشاً أما إذا ركبت أتوبيس فسيبقى معي ٧٥ قرشا،................ ولكن السؤال هو هل سأعثر على أتوبيس الآن؟



عشاء

الثوب الأحمر القطني الثقيل به كرانيش بيضاء عند نهاية الأكمام، وعند فتحة الرقبة، وفي نهاية الثوب حول القدمين، وكانت هناك زهور صغيرة وردية وبرتقالية مرسومة على هذه الكرانيش. في زاوية الكتف الأيسر هناك فتق صغير يظهر اللون الأزرق الغامق للبلوفر الذي ترتديه تحت الثوب.
أحكمت وضع الشال القطني المصفر حول رأسها، خرجت بعض الشعرات السوداء من الشال تضم وسطها شعرة بيضاء أو اثنتين، انحنت ببطء إلى درج الملاعق والشوك لتضع الملاعق المغسولة، انفلتت إحدى الملاعق من يدها لتسقط على الأرضية، أخذت تتلوى وتنتقل من الجزء الذي به الحصيرة الصغيرة إلى البلاط الأبيض، ثم استقرت على البلاط وهي تهتز بانفعال مصدرة رنيناً سريعاً حاداً، انحنت أكثر وأوقفت رنين المعلقة بيدها ثم رفعتها واستدارت ببطء إلى الحوض المعدني وفتحت الماء على المعلقة.

– ماما.... يعني إيه أملاح مستحلبة؟

– ... ايه

– أملاح مستحلبة.

—... مش عارفة والله ياهايدي.

تناثرت قطرات ماء كثيرة على سطح الحوض المعدني، بعض القطرات طارت وسقطت على الطاولة المستطيلة الموضوعة في زاوية المطبخ.

— يووه... النور انقطع... هاعمل الواجب امتى.

— زمانه جاي... هبة هاتي الشمعة اللي في درج الكوميدينو بتاعي واندهي أخوك عشان تتعشوا. كان الهواء يهز الكرسي الموضوع خلف النافذة الطويلة لإغلاقها، وكان اللوح الزجاجي للنافذة يرتعش في مكانه بدون ضجة، فقط صوت خفيف متقطع.

أحنت الشمعة لكي يسقط الشمع السائل على الطاولة ثم ثبتت الشمعة عليه، —ماما... أنا بردانة قوي، —هبة قومي ولعي البوتاجاز هيجيب شوية دفا، —هبة... يعني إيه أملاح مستحلبة ؟، — جبت الكلمة ده منين يا هايدي، —على علبة الجبنة نستو، —مش عارفة، —ماما عاوز ساندوتش عجوة كبير علشان بردان قوي ياماما، —طيب ياهاني.

انعكست صورة الطاولة والجالسون حولها على السطح المصقول لنظارتها الكبيرة رغم البقع الداكنة التي على العدسات. كان الصوت الأكثر وضوحاً هو صوت فحيح عيون البوتاجاز المشتعلة. —بابا اتصل النهارده وانت في الكلية ياهبة وبيسلم عليك، — والله.... اتصل امتى ؟ عامل إيه، — كويس بس ضهره لسه واجعه شويه، — قولتيله إنك عملت العملية ؟، —... آه، وزعل طبعاً... ياولاد لو ستكم أو عمامكم سألوكم ليه ماما ماقلتش لما جت تعمل العملية قولو لهم أنها ماكنتش تعرف المعاد بالضبط...مابحبش حد يشوفني وانا تعبانة.... أنا كده.

—هييه.... النور جه.... النور جه.

غرق المطبخ في الضوء الجديد القادم من اللمبة الصفراء المعلقة، ثم أخذت الأصوات تتزايد، صوت سريان التيار الكهربي في الثلاجة الكبيرة، صوت رجرجة موتور الثلاجة، أصوات الراديو من منور الجيران، أصوات احتكاك الكراسي بالأرض عند قيامهم.

ثبتت قدمها على الأرض وأخذت تنهض، كانت لاتزال منحنية حينما أحست بالألم الشديد مرة أخرى في ساقها، فردت ظهرها ببطء وشعرت بدوار خفيف في رأسها، أمسكت بيدها حافة الطاولة الخشبية، سقطت على الكرسي، ورفعت ساقها اليمنى على الطاولة، انحسر الثوب القطني الباهت عن ساقها، ظهرت بثور الشعر المنتزع، والتجمعات الدموية الحمراء الغامقة، وثلاثة خطوط عرضية داكنة قصيرة تبدو كشق في الجلد بداخلها لون أحمر داكن لدم جاف. من مكانها كانت تستطيع أن ترى انعكاس الضوء القادم من التليفزيون على وجه هايدي الصغيرة الجالسة على الأرض في الغرفة المجاورة.

❖

هيثم الورداني
ووائل رجب

سكك حديدية خطرة

— برولوج—

— أنا خلفك. أنا أمامك.

— أنظُرْ. أنظُرْ.

— في تقاطعات. إلى الفراغ.

— شعر رأسك. الممتد.

أنا بجانبك إصبع يدي الصغير يجاور مثيله عندك، يدي هي اليسرى بينما أنت اليمنى. كتفي الأيمن في كتفك الأيسر.

صدران متوازيان. الأنف على الأنف. القدم اليمنى أمام اليسرى. العين اليمنى تحتاج لحركة المقص لكي تصبح على مثيلتها. تتداخل الرموش.

– اليوم السادس من يوليو. غداً السابع... عيد ميلاد أبي المدفون.

كمية الأوكسچين تصبح محدودة غير متجددة تحت الغطاء، متى ستأتي اللحظة التي ينتهي فيها كل الهواء؟ أردت أن أعرف. لا أرى شيئاً، أسمع فقط صوت القطة التي في حضني، أتنفس بارتباك. أختنق، أزيح الغطاء، تبقى القطة وكمية الأوكسچين المحدودة.

من البطانية ذات المربعات الأحمر والأسود، يمكن جمع أسلاك الصوف المتناثرة لتكوين نقطة حمراء مدلهمة مستديرة. من نقطة المركز تنبع كل الخيوط. خيط أول... ثان...ثالث ثم ثقيل. خيط أول... ثان... ثالث ثم خفيف. خط أفقي ثم آخر عامودي. مرات كثيرة آفاق على عواميد. يتكون جسم الحشرة ذات الأرجل المتشابكة المحتلة للمركز. يتكرر المشهد الأخير حتى تمتلىء به المقبرة.

المقبرة مكان سرّي.

تسلقنا السور الحجري وقفزنا لنحضر الكرة التي سقطت، لم يكن هناك غيري أنا وهو، يجب أن ننتبه جيداً حتى لا نمشي على تلك المساحات المحددة بأحجار على الأضلاع، كان يجب أن نحضرها لأنها ليست كرتنا، خلعنا أحذيتنا، تسلقت السور بمهارة وجلست على حافته العلوية لكي أرى، ثم قفزت، لا يجب أن نزعج أحداً، كيف يمشون على هذه الأرض المليئة بالأشواك ؟ الكرة هناك، طرق ملتوية كثيرة محفوفة بأشجار شوك كبيرة، شوك أخضر مدبب، لايجب أن نزعج أحداً والكرة ليست كرتنا، عندما جلست على الحافة العلوية للسور كان هناك معول مغروز في كومة رمل بجانب فتحة مستطيلة غير مكتملة في الأرض.

كان لابد من حفر الأرض لغرز البذرة الكروية. ثم يعود الظلام ليلف البذرة المعتادة سابقاً عليه في قلب الثمرة الأم، ينطلق خط إلى أعلى ثم تظهر ثلاثة أشواك جانبية. مع كل تزايد في الارتفاع تظهر ثلاثيات جديدة. عندما تنتحر أشعة الشمس على الأشواك، تصيب بعضها بلعنة الموت فتصفر وتلتصق بأسفل القدم الحية التي تنتصر. أما الأشواك الخضراء الناجية فتدخل صراع الحياة القوية مع الدم النابض.

القطة الصغيرة تموت لأن القطة الأم ماتت وأنا واقف في يدى قطارة مملوئة باللبن، يسيل اللبن على يدي بعد أن يخرج من فم القطة الصغيرة. على ساعدي: خطوط بيضاء رقيقة تسقط نقطة نقطة على الأرض حيث أقف ناظراً إلى عينيها، أدخلت إصبعي في فمها حتى لاتخرج روحها مختلطة باللبن المطرود، أنا منتبه جيدا هذه المرة.

عند انفجار كيس اللبن، تهيأت خصل الشعر للانحناء والتساقط فيما بعد إكراماً لمنظر اللبن المتحرر. عند الغلي، بدأ الأخير يرتفع. على وجهه، كانت حبات الردة الخاصة بالخبز الذي تصادف وجوده في نفس اللحظة في الكيس الكبير الحاضن للانفجار. تخترق الردة على جوانب الإناء. تتكون طبقة ثابتة مرتفعة من اللبن، يحرم عليها الاختلاط بما هو أسفل، يظل الحال هكذا حتى تنسحب الحرارة.

الذراعان كالصليب، والهواء يمر من الفتحتين، يندفع إلى الداخل ماراً بالصدر، الهواء الأكثر برودة يتجمع حول البروز المستدير في أقصى الصدر، ثم يبدأ الرقص، قدم تنثني خلف الأخرى، ذراع تلتف تنحني، صليب راقص. غبار يثور يتحرك من تحت الأقدام حتى يختفي داخل الأشجار. للمصلوب عينان: عين الإنسان وعين الرب، للرجل العجوز قدمان: واحدة في الدنيا والأخرى في الآخرة. فوق الميت تنمو عيدان خضراء رفيعة، تتكون من عقل كثيرة. هي أوراق خضراء ملفوفة على بعضها البعض. عندما ينتهي فض الأوراق يوجد الفراغ إلى الجذور. من الفراغ يمر الهواء الصالح للتنفس.

جدي مات ولكن جدتي لم تمت، لا أعرف جدي، أبي يذهب إلى المقبرة كل شتاء، لا أحب الأماكن المغلقة التي ينظر إليّ فيها الغرباء ولكنني سأذهب إذا ماتت جدتي.

الرقص الحر محاولة جادة لتحريك الثابت. محاولة محروسة لأنها تدخل في إطار العرض. قدماها مقص حول عنقه. شعرها يلامس الأرض. يدور بها بعنف. العرق يظهر ويعبر عينيها من أسفل إلى أعلى. رغبة الأرض في الالتحاق بالرأس في السماء تدفعها إلى التشبث بذراعيه. (الأوراق الخضراء للفول السوداني تقود الشعور إلى الحبات المغروسة في الطين. من أجل أكل ثمار الفول اللذيذ، لابد من التكسير).

بعد أن يتخلص من الثوب الأبيض يجلس عارياً متكئاً على الحجر الذي يوضع تحت رأسه، ثم يتجمعون في المساء عندما نرحل يثرثرون ويدخنون بشرط أن لايشعر أحد بشيء، أنا غير معترض بل أحترم ذلك وأرحل قبل أن ينزل المساء، ولكن ليس من النبل أن يغري أحدهم الرب بمعاقبتنا لمجرد أن صوتنا كان عاليا. بالرغم من ذلك أبحث دائما عن السطح الصلب الجاف للأرض الذي تبرز منه صخور سوداء جرانيتية تتجمع في مستطيلات، هذا السطح الصلب لايفصله أي شيء عن باقي الأرض حيث أضع صخرتين متشابهتين، المسافة بينهما أربع خطوات وأقف.

«هل رأيت الذي حدث؟ (صمت)... توقف واستدار ثم ابتعد عشر خطوات لوضع المبارزة. كنت أنظر اليه وتوقعت أن يراني. وجّهته من بعيد ولكنه كان قد أصبح شبحاً. عندما حاولت أن أعيده بشراً مررت خلاله ولم يشعر بي، البخار الذي أخرجه من فمه تراكم على شفافية عيني. حاولت من أجله أن يأتي إلى عالمي. عندما وصل، ظللت أنا في داخلي».

لم أصدق أن الرب في مقدرته رؤية جميع الأماكن في نفس الوقت، ولكنني كنت أحسده على كل حال. ترى ماذا يحدث عندما أرحل؟ لابد أن يحدث شيء أثناء غيابي. تظهر الأشباح البيضاء تمرح هنا وهناك، يتم سلخ وتعذيب من يظهر في المكان هذا الوقت لسوء حظه، الوحوش التي ليس لها اشكال محددة تختطف الأطفال وتدفنهم أحياء بجانب القبور الأخرى،

تتحرك الهياكل العظمية، كل هذا لأني لست موجوداً. أصبح يجب عليّ أن أعرف جيداً متى أكون موجوداً ومتى يجب أن أنصرف حتى لا أتعرض للخطر

– استراحة–

قبل الفصل الثاني، بدأت تتشكل عملية مزدوجة من الانكماش وأخرى منفردة من التمدد. في الازدواج سيطرت النزعة البشرية اللحمية وبدأت تتسرب. في حين أن الدود كان ينكمش ويتمدد فى موجات تتابعية. أجسام أخرى آخذة في الصعود والهبوط.... في الصعود والهبوط. بقايا اللحم في سكون وأيضا العظم من الخارج على الأقل.

بعد فترة تتحول الحركة إلى قوى استاتيكية.

لا يوجد دود، لا توجد هياكل عظيمة.

لم يحدث ليدي شيء عندما وضعتها في باطن الأرض، أستطيع أن أحرك جسدى بعيداً عن طابور الدود المزعوم، أمدد جسدي في المكان. أنظر إلى أعلى، ألف يديّ حول صدري وأستمتع برطوبة الأرض بعيداً عن تلك الأساطير.

كان لابد من التنويه من البداية أن المقابر تحملها أرض مرتفعة......

في الليالي الممطرة ينحدر الماء بتراب الأرض إلى أسفل تل الحداد الصغير، يحمل معه آثار خطوات ندامى السمر الليلي المقصور على فئة معينة، في الصباح يمكن أن يدوس النهاريون على تراب الآثار ويعيدوا كل شيء إلى بدء خلقه. مع تعاقب السحب، يشح تراب القمة وتبدأ شواهد القبور في البروز أكثر فأكثر. في أسفل ينسحب الهواء من تراب الليالي الماضية المدفون تحت ماهو جديد.

الضوء على جانب واحد من الطريق.

تسليم الحركة يتم عبر سقوط ضوء الفانوس الأصفر على العامود المجاور. نقطة خضراء بعيدة تضع حداً لظلام الرمال الممتد خلف خط الفوانيس. استمر النقش المختلط لدائرة وتعاريج الأحذية على التراب. النجمة البادية على اليسار تسبق أخريات تكون شكل المغرفة وعلى امتداد الأخيرة يوجد القطبي. في ضوء السيارات القادم من الخلف، يرتعش على الأسفلت ظلان نحيلان طويلان، أحدهما يتقدم الآخر. ينحرفان بسرعة على جانب الطريق مع اقتراب السيارات ثم يختلطان في الخلفية قبل أن يختفيا تماماً.

يرجع الفضل في فكرة الاشتراك في كتابة هذه القصة إلى تجربة القاص خالد عباس والشاعر طارق محمود.

وائل رجب

الدود والديدان

قالوا عني إنني كنت سميناً عندما كنت صغيراً في بطن أمي. وأمي كانت نحيفة والمادة المصنوعة منها بطنها كانت مرنة إلا أنها لم تكن تصل لمرونة الشرابات الأول سايز الحريمي ولذلك لم تستطع أمي أن تستوعب بسهولة كبر حجمي وحركتي العنيفة داخلها. ومن ناحيتي أنا كنت أحس بالضغط وضيق المكان من حولي مما أدى في النهاية إلى ظهور طابعي المتمرد العنيف. وقد أوصلنا هذا الصراع إلى أنني خبطتها في مرة خبطة قوية من الداخل آلمتها فلعنتني وانبعج طرف إصبع قدمي اليمنى الصغير بشكل ملفت لنظركم عندما ترونني أضعه فوق المائدة لأريكم إياه بعد انتهاء عملية الكتابة. وقد استمرت هذه الرغبة في التمرد وشغل حيز أكبر من المكان بعد خروجي من داخلها. فقد كنت آكل بشكل غريب. على سبيل المثال كانت أمي تصنع شوربة الخضار بما تحتوي عليه من كوسة وبسلة وجزر وبطاطس وتضرب كل هذا جيداً في الخلاط فيصبح عجينة طرية يمكنها أن تلصق أي كائن بشري بكرسيه. ولأنني لا أحب الملح وضعت السكر. وعلى مسافة الخمسة والعشرين سنتيمتراً الملائمة للقراءة الصحية، وضعت أمي كرسي المطبخ الصغير وعليه السلطانية. ومن السلطانية إلى فمي كانت الملعقة تقطع المسافة في الاتجاهين. إلا أنني كنت في تحرك الملعقة في الاتجاه المضاد لي،

كنت أبكي. وهذا في انتظار العودة. ألصقت أمي الطبق بفمي وانطلقت تقذف حمولة الملعقة في جزء من الثانية وبذلك تم استهلاك وقت البكاء. وفي الحلو كنت أبلع العنب الأسود الكبير دون مضغ مما كان يمرره إلى قاع الكابينيه في شكل صحيح. وعندما يكون زمن مروره أسرع من زمن ذهابي إلى الكابينيه كان يترك بقعاً بنفسجية اللون في قعر اللباس. ولكل هذه الأسباب كنت ممتلئاً، أحمر الخدين، كلي صحة. واليوم وأنا في الرابعة والعشرين مات أبي من عامين. وبدأت أميل إلى التمدد في الاتجاه الرأسي. واختفت صورة طفل «سيريلاك» الذي لايجد الهواء مساحة في وجهه من جسمي. وقالوا عني إنني أحمل معملاً للديدان في بطني وإن هذا قد يحولني إلى رفع الدودة. وطلبوا مني التحاليل فحللت. إلا أنني مازلت أعاني سيولة الداخل إلى الخارج. من الخلف في أسفل، إسهال. في الوسط آلام عنيفة ورغبة دائمة في الطرد إلى أعلى الذي يستقبل الإشارة ويدفع ببواقي الشعرية واللحمة إلى طرف الحذاء البني على أرض شارع قصر النيل. تتكون أشكال مهضومة مما يؤكد أن المعدة لم تكن عندها الرغبة في نقل الأكل إلى الأمعاء التي كانت تتعامل مع العنب الأسود الصحيح. الدبابيس تظهر في كل جسمي بمجرد أن أتحرك. أخلع البلوفر والفانلة والبنطلون ثم اللباس عسى أن أجد شيئا عالقاً بها من الداخل إلا أنني لا أجد. وعندما ألبسها تعود الدبابيس. جسمي لم يعد يتعرف على شعري فيلقي به على المخدة وأنفضها كل صباح. وأنا لست بحاجة لأحد لكي يشرح لي مشكلتي التي تتلخص في شعوري بعقدة الذنب ناحية والدي. لم أعد أستطيع أن آكل وأغذي الديدان في حين أن والدي يخضع منذ عامين لعملية عكسية. أفهم ذلك جيداً ومازلت لا أجد حلاً.

مارس ١٩٩٤

الممثلة والغجرية

«وفي نفس اللحظة، تركتُ قمة البرج».

عندما انطلقتُ لمقابلة صديقنا الذي حدثتكم عنه سابقاً، لم أكن أتوقع أن أرى هذه الفتاة الصغيرة. هذا لايعني أن هذه الليلة كانت مقصورة على الرجال فقد كنت في الأساس ذاهباً لرؤية فتاة من نوع آخر. كنت دائماً ما أرى فتاتي هذه هادئة، مبتسمة تشعرك بالرغبة في البكاء ما بين نهديها. ضعيفة في كل اللحظات التي تتراءى لي فيها. ربما لذلك أحببتها. ضعيفة لدرجة أنك لاتراها هي وجهاً وفماً، خصراً وجنساً بل ترى خيال كل هذا. قد تظهر في بعض اللحظات بيضاء وفي أخرى حمراء. تغيُّر الألوان هو علامة على محاولة الحياة التكيف مع الطبيعة. (كتاب الأحياء للصف الرابع الابتدائي —منهج قديم)

(سكون)

«نظرتُ من أعلى، كانت صغيرة»

كنتُ دائماً ما أشعر بالرغبة في وضع الغجرية ما بين شفاهي. الجو الذي يحيط بها كان يخلق داخلي حركة الاقتراب.

اقتربتْ مني، لم أتبين بسرعة أنها تعرفْ من كنت معهم في هذه الليلة.

— نروح فين دلوقت؟

— معرفش، أي مكان.

— زي إيه؟

— «الفيشاوي»!

— لأ«السكرية» أروق.

ياما مشيت في الشوارع دي لكن مادخلتش أبداً يمين وبعدين شمال عشان الاقي نفسي في وسط السكرية.

«نظرتْ إليّ، لم تعد صغيرة»

بدأت تتغلغل بأظافرها في شعري الذي بدأ في التساقط. التقطت إحدى الشعرات، أطولها، بدأت في تمرير أظافرها على ثنايا الشعرة لتشقها. أخذت في الهمهمة مع شعرتي. قبلتها في فمي. مررت يدي من خلال إبطيها خلف رقبتها، جذبتها نحوي، وضعت فمها على تفاحتي وأعدت إليها قبلتها.

وضعتُ صدري على ظهري وتحسست الأرض تحتي. تمددتْ على صدري وبدأتْ في فض بكارتي.

«وهكذا تركت قمة البرج»

«تضاء أنوار الصالة»

يونيو ١٩٩٣



أبيض وأسود

(١) ليل خارجي

يتحرك الأسد بعرض البلاتوه في خط عامودي على المكان الذي يتمركز فيه مقر شهوته: زوجته العزيزة. يدور عدة دورات يمارس من خلالها طقوس الجماع. يرمق زوجته بنظرات شهوانية تؤدي دورها في حلبة السيطرة التي يقوم بنصبها. يبدأ في الاقتراب، يخترق حلبته، يبدو في نظرات عينيه التوتر. تبدأ دموع الإثارة في الالتفاف حول أنفه، تتجمع في بحيرة اللعاب، تتحول إلى قطرات ثقيلة تتعلق بشعر ذقنه وتتركه. يلعق الأسد بلسانه لأسفل ثم يحركه في حركة رأسية لأعلى على وجه زوجته العزيزة. يرفع مخلبه ويضرب به خدها ضربة خفيفة. يفعل هذا وهو يكاد يغطي وجه زوجته.

تحرك زوجته ذيلها في حركة مروحية وتخفض رأسها وتمسح بها قدميها الأماميتين. يقوم الأسد بتحريك يده اليمنى على جسدها. تبدأ زوجته في فرد قدميها الأماميتين. يصبح الأسد في داخل مثلث قدميها. يحرك رأسه كله على خدها الأيمن ثم الأيسر. يضغط بقدميه الأماميتين على صدرها. يدفع بقوة من اليمين إلى اليسار. تنقلب على ظهرها.

(ينتهي المشهد بأن يطلق أحد المساعدين حقنة مخدرة على الأسد

لتفادي الهياج الذي يصاحب عملية الجماع)

(٢) نهار داخلي

يصحو «اسماعيل» مبكراً اليوم على غير عادته. يسأل والدته عن الجريدة لماذا لم تصل حتى الآن. يذهب إلى النافذة. يصطدم وجهه بعنف بلفافة طائرة. كانت هي الجريدة. يفتح الجريدة على صفحة الأدب: قصيدة جديدة لأحد الشعراء بعنوان «دخان الظلام». يلقي بالجريدة على المائدة ويدخل إلى حجرته مرة أخرى. يتحرك بعينيه على أرفف المكتبة. يختار «محاورات أفلاطون». يبدأ في تقليب الصفحات. يبحث عن جملة معينة. يجدها ويرددها بينه وبين نفسه «المعرفة أساس الفضيلة».

— إنت عارف ياحبيبي أنا قد ايه بحبك. لكن....

— لكن إيه؟

— حبنا لازم يكون له نهاية.

— وهيه إيه؟

— إننا نسيب بعض.

تظهر الدموع في عيون «اسماعيل» وهو يتذكر هذا المشهد بينه وبين «نادية» بالأمس. يقطع دموعه صوت أمه وهي تنادي عليه «شفت يا اسماعيل الأسد اللي هرب من استوديو الأهرام».

يفتح «اسماعيل» باب الغرفة.

ينتهي المشهد

(٣) مشهد ختامي

كاتب سيناريو يتحدث مع زميل له في التليفون:

– شفت الراجل اللي كَلِّةُ الأسد، بيقلك كان قاعد في الأوضة، راحت أمه نادهاله، قام فتح الباب.

أبريل ١٩٩٣

❖

صديقنا

للإنسان لحظات لاينساها ولأقدام صديقنا المشلول خطوات لم تمشها.

لم يكن يدرك «عكاوي» أنه لايستطيع أن يكتب ولكنه أدرك في لحظة أنه يستطيع أن يرسم إصبعه على الطين المبلول. في اللحظة التي وقف فيها تحت العارضة كانت الشمس قوية للدرجة التي تحرق جلد ركبتيه وبالتالي تؤثر على حساسية الركبة للكرة والضوء.

خطر على باله أن يضع شبكة من العارضة إلى القوائم لكي تحمي رأسه من الشمس ونفذ فكرته سريعا لكن الشبكة كانت ثقيلة للدرجة التي غاصت بالعارضة والقوائم في الأرض ووجد «عكاوي» نفسه مرة أخرى أمام الشمس.

«شال الشبكة وحط الشبكة وشال الجون من تحت الأرض»

والغريب أنه في كل مرة كان يضع فيها «عكاوي» الشبكة كان المرمى يغوص فوق خط المرمى بالضبط وكأنه اسماً على مسمى. لم يفكر «عكاوي» مرة واحدة لماذا تطوع واختار أن يقف تحت العارضة. ربما لأن المتطلبات الوظيفية لحارس المرمى تسمح له باستعمال يديه وبالتالي يستطيع أن

يتغلب على شلله أو ربما لأنها المنطقة الوحيدة في الملعب التي يتوفر فيها نوع ما من الظل بصرف النظر عن المقصورة.

كانت نظرات «عكاوى» وهو على خط المرمى لاتتعدى الخطوط الثلاثة للملعب. الجميع جالسون إلا من هم من معه وضده. من موقعه يستطيع أن يكشف الملعب من أمامه وهو الوحيد الذي يستطيع أن يستعمل «ايده ورجله» في قذف الكرة إلى أعلى مكان. توالت عليه عقود الاحتراف للكرة التي يقذفها، منها طلب المخرج التلفزيوني أن يضع إحدى الكاميرات في الكرة لكي يستطيع أن يلتقط صورة للملعب من أعلى نقطة ولكنه رفض لأن الكاميرا لن تكون في متناول قدمه رغم أن المخرج «باس رجليه».

كل هذا حدث قبل احتساب ضربة الجزاء. لحظات طويلة مرت عليه وهو يتمشى على خط المرمى يساوي النجيل ويزرع وردات صغيرات عند القائم وفوق العارضة.

شاهد خصمه يأتي من الطرف الآخر للميدان، يتقدم بقدميه... بحذائه... بجوربه... بشورته... بفانلته... بيديه. والكرة في يديه.

كان يلبس ملابس الحداد.

تبادل «عكاوي» معه النظرات لمدة ثانية أو ثانيتين. لم يتحمل أكثر من ذلك، قذف نظراته بسرعة لم يستطع معها الآخر أن يتابعه. اقترب «عكاوي» منه، داس على قدمه، وضع قدمه اليمنى على ركبته اليسرى، وضع قدمه اليسرى على عضوه، تعلق بفمه ووصل إلى شعره الكثيف الأشبه بسعف النخيل. مارس معه الجنس. عاد مرة أخرى هابطاً على فمه، على عضوه، على ركبته، على قدمه، نزل إلى الأرض ليجد البلح قد طاب واستوى. عاد صوت الملعب إلى أذنيه مرة أخرى. حاول الرجوع إلى خط المرمى... ولكنه

لم يستطع. جموع البشر تحمله على الأعناق فَرِحة بانجازه التاريخي. ضربة الجزاء كانت لفريقه وقد أحرز هو الهدف.

صديقنا قد مات.

ويروى عنه أنه أراد أن يشهد لحظة موته. لم يغلق جفونه وشاهدت عيناه طين الملعب وهو يدخلها.

سبتمبر ١٩٩٢



خلف ثلاثة ألواح زجاجية

«على الفنان الحديث أن يضيّع ثلثي وقته في محاولة أن يرى المرئي وعليه أن لايرى اللامرئي»

پول ڤاليري

(١)

من بعيد كنت أتجه في الظلام إلى حيث اليافطة الصغيرة المضيئة. كانت السيارة الصغيرة المسرعة تحتك في انطلاقها بحافة نعل الحذاء غير متكافىء الارتفاعات نظرا لطريقة المشي الخاطئة. في نفس الاتجاه، كانت درجات السلم تهبط-من المحل المرتفع. من بعيد كانوا يقفون كباراً. وعلى الضوء الخفيف المنبعث والمخترق لأجسادهم ظهرت حواف مضيئة لتكتلهم الأسود. كانوا يحلقون حول أقصرهم قامة، يقتربون منه في عنف ويرفعون أياديهم المضيئة من ناحية الراحات لتقترب منه في سرعة صاعقة وتنهمر عليه ليهتز ويحاول أن يعرف في رهبة على أي جزء من جسمه تكسرت أياديهم.

ولكنهم في تجمع يحيطون به مرة أخرى ويجبرونه على عدم المواجهة. بدأت الضربات تنهمر متوالية ولم تعد راحات الأيدي هي المنطقة الوحيدة المستخدمة للاعتداء. وبدأت محاولة الوعي من جهة المعتدى عليه تضعف شيئاً فشيئاً حتى أصبح منهكاً. كان كل شيء يدل على قوة عزيمتهم واستسلام الآخر. في عطف، اقترب أضخمهم منه، فرد قامته المنحنية ثم وجه له لكمة قوية اطاحت بكتفه الأيسر. على الأرض، كان الهواء يحرك بقعة الماء الصغيرة التي بدأت تتلقى حبات العرق المتساقطة من جسد الضعيف. بركة الماء تلقت وجه الشخص الذي انكسر. كنت قد بدأت أقترب. نظر أضخمهم إليّ. كان الضوء ينعكس على نظارته القاتمة.

(٢)

كان الضوء الذي يظهر من خلال تقاطعات أجسامهم يقع على عيني. هذا الضوء الخافت الذي يفلت من ملابسهم الداكنة كان يتجه إلى قميصي الأبيض المزركش فيكون خطوطاً بيضاء على الوردات الخضراء الصغيرة وفي بعض الأحيان كان ينعكس على الزراير البلاستيكية ذات الفتحات الأربعة. يضيع الانعكاس الفضي الشفاف في المسافة التي تقع بيني وبينهم، كانوا يقتربون منه ثم يبتعدون. في البداية كان ثابتاً بعض الشيء إلا أنه أخذ يتساقط شيئاً فشيئاً. وكل فترة، كان الغبار يتصاعد مكوناً هالات من الضوء المغبش حول أجسامهم الكبيرة. هي لحظات وسوف يقع بالتأكيد. وهو يفقد وعيه شيئاً فشيئاً. حاولت أن أقترب منهم الا أنهم أحسوا بي.

(٣)

في يدي التي تكوّن خلفية الساعة كان عقرب الثواني يتحرك في سرعة محمومة ليحرك عقرب الدقائق الذي تتحطم حركته على بطء الساعات. وعندما كان يفلت الضوء من أجسادهم كان يلمع على زجاج ساعتي ويعوق رؤيتي لحركة العقارب الدؤوبة المملة. هذا الإحساس بالسخونة التي يتركها أستيك الساعة مازال يلازمني رغم الهواء البارد الذي يحملني إلى حيث يقفون. كانوا مايزالوا يقتربون منه ويبتعدون لينقضوا مرة أخرى وفي محاولاته الأخيرة للاستدارة لمواجهتهم لكي يمنع شيئاً ما، كانت أيديهم كلها مرفوعة في مواجهته بشكل يعجزه فيستسلم مرة أخرى للخيانة الضاربة من الخلف. على إبهامي، آثار الإسفنجة الزرقاء التي التصقت بها يدي في الصباح. كان كل شيء يبعث على الحيرة والإحباط. ولم يغير هذا كونهم يلعبون مع هذا الشخص الذي يرغب في معرفة مصدر الاعتداء.

ديسمبر ١٩٩٤



المحتويات

رقم الايداع ٣٩٩٠ / ٩٥
الترقيم الدولي I S B N 977 - 5406 - 51 - X

لماذا معاً!!

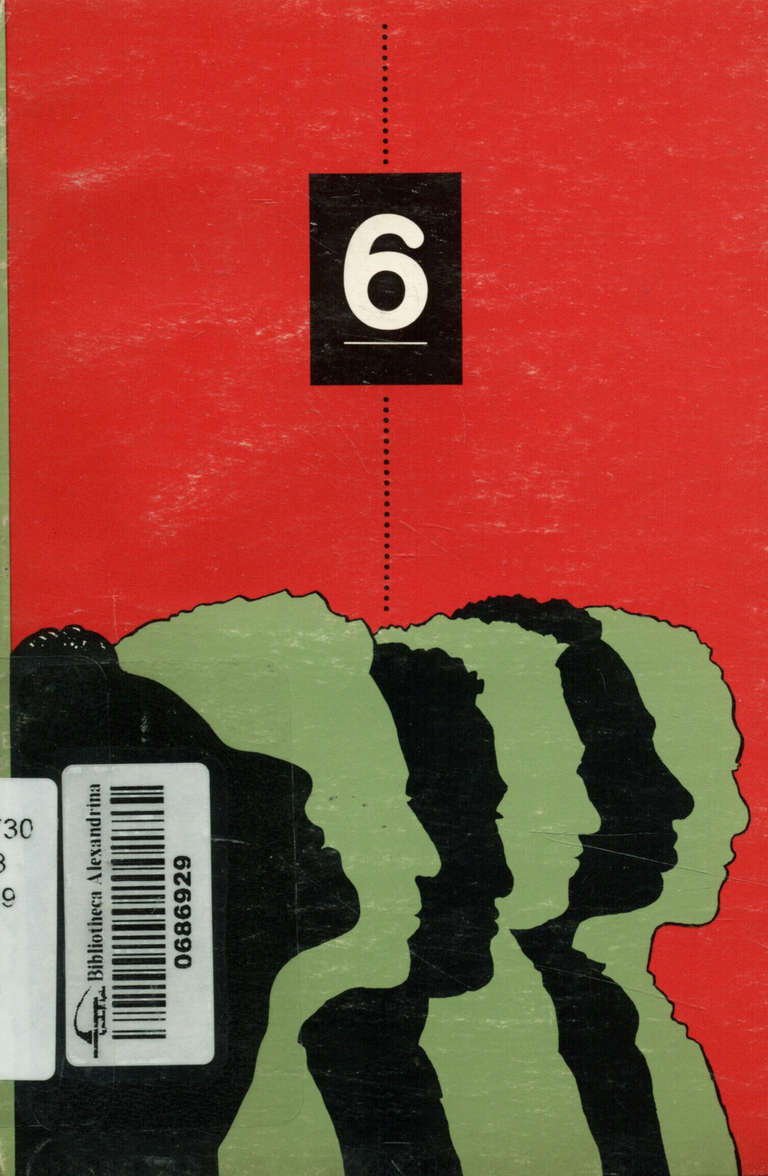
الأمرُ ببساطة لا يتعدى اندفاع جسم جرئ للسقوط من فوق جبل. يصل في قفزات سريعة عالية إلى الهواء الذى يلى الجبل . يصل ... قفزات ... عالية ... الهواء ... الجبل.

فى أسفل، نهر يمتص الصدمات. والأمر ببساطة لا يتعدى إحساس جسم بأنَّ رذاذَ الماء المتناثر عليه هو نتيجة لسقوط خمسة أجسام أخرى فى النهر المتحرك.

وبعدُ ، تندفع فقاعات هوائية إلى أعلي. تنفجرُ، ثم تبدأ فقاعات أخرى فى الظهور. لحظات. تتحرك الأجسام مرة أخرى على السطح.



دار شرقيات للنشر و التوزيع


6